حكم العلماء

ما قبل وما بعد الحرب العربية الكبرى

الفصل ١ : وطني

الجزء١: انت هو ابني

" فتحت عيناي فجأةً، فلم اجد حولي الا الظلام، الظلام الدامس المهيب، من ثوان معدودة ولدتُ من المجهول وفي المجهول. لا اعرف شيئا عن موقعي وعن نفسي، من انا؟ واين انا؟

تطلعت حولي، فلم اجد الا الفراغ ممزوجاً بالظلام. فلا من كوى للتهوية ما جعل تنفسي عثيراً، فيدخل إلى جوفي روائح العفن المرير. يلحظ وجود بعض الممرات الحالكة البعيدة عني، و حين تقدمت اول خطوة إلى الأمام، دهست مادة لزجة لم أعلم ما هي، لأنها اتخذت لون العتمة المحدقة بي.

بعد كل هذه التحقيقات أتاني اول استنتاج بأني في منزلٍ. كان الصمت دامسا كصمت القبور، فلا تَسمع أذناي الا صوت خطواتي المصحوبة بضوضاء مزعجة من الأرضية العفنة بسبب السوائل الكريهة.

كان قلبي يخفق كطبول حربٍ، حين اقتربت من إحدى الممرات التي لم الحظ بوجودها الآ بعد اصطدامي بحائط اعترض طريقي، فتمنيت ان ارى الضوء مرةً قبل موتي اختناقاً او ضيقاً، لأني عرفت ان المكان خالٍ من مصدر للضوء او حتى شباك ليقتل الليل قليلاً، فحسبت نفسي في سجن فسيحٍ، لأموت على مهل.

وفجأةً، توقفت ابحثي واستطلاعاتي المكان، أثر صياح اخترق اذني وقتل الصمت، شاطراً قلبي إلى أشلاء. صدمتني موجة ريحٍ باردة طاعنةً جسدي من الاقطاب الأربعة في تلك العتمة المريعة، فارتعبت من هول ما سمعت.

كان صياح عالٍ قريب لصوت امرأة، لكنه لا يشبه المرأة بسبب خشونته التي لمحتها عليه، يرافق هذا الدوي كالإعصار صوت كدمات أو جلد وكأن أحد يعذب تلك المرأة بطاولة او بكرسي يلطمها به على جسدها او يجلدها بعصاً مثمرة لتقطر دماً، كان صوت الضربات مرعبة أكثراً من صوت الصياح نفسه.

توقفت المرأة عن غنائها الأليم، لكن صوت التعذيب ما زال يسمع، فتطلعت من حولي مرعوباً استبين مصدر المتألمة واسأل نفسي ألف سؤال، ما لبث ان انقطعت حبال أفكاري بصياح مريع أكثر من الذي سبق واخشن، من المفترض انه للمرأة ذاتها وتخيلت ان المعتدي يعذبها أعنف من قبل لان صوت التكسير ارتفع وأصبح أكثر سرعةً والزي.

فارتفع لحن تلك المرأة ثانية ليرقص عليها الشياطين، شعرت ان هذا الغناء لم يكن سوى نداء استغاثة.

فتوجهت لموقع الصوت المتقطع، فتارةً يرتفع وطوراً يختفي لاهثاً، وكأن صاحب الصوت يستعد ليضع مولوداً عملاقًا.

تسارعت خطواتي في تلك العتمة، لا ارى شيء، أسير كالأعمى خائف مرتعب احاول اخذ دور البطولة لإنقاذ الضعيفة.

وفجأةً اصطدمت بحائط اعترض طريقي فلم ألاحظه في هذا الرواق، فعلمت ان الطريق نحو الأمام انتهى وعليا الانعطاف الى اليسار، فسرت على مهل اتلمس الحضيض والحائط محاولاً تكين فكرة للمكان.

بعد ان سرت في الرواق إلى اليسار وصلت لمفترق طرق، فأخزت الطريق الايسر كذلك الذي يكون الأقرب إلى الصوت، هنا لمحت ضواءً عمى بصيرتي لكوني غير معتاد على هذا النعيم، فتوجهتُ اليه ناسياً صوت المرأة، وكأني سمكة جذبها صياد بنورٍ اشعله مساءً في مركبه.

فأنار ذاك الضوء الخافت طريقي وعلمت أني في ردهة.

كان النور يخرج من باب غرفة شبه مغلق، فتقدمت وصوت المرأة أقرب لسمعي المشتت، فاستنتجت انها في تلك الغرفة. كنت أسير للأمام وقلبي يتراجع للخلف، يحاول اختراق عظامي ليهرب من الواقع مرتعباً من المكان، ظاناً أني سأرى امرأة عاريةً مرتديةً الجروح، والمغتصب مقنعاً بيده آلة التعذيب التي علا صداها في الرواق، لكني واصلت التقدم جاعلاً نفسي لإبليس وجسدي للمعذِب.

حين وصلت أمام الباب بدأة صوت المرأة يختفي شيءً فشيءً إلى أن انعدم، وظهر صوت جديد، صوت بكاء لطيف يرمي شتائمه بكل قوته.

فمددت يدي للباب برهبة، وكأني افتح باب الجحيم بنفسي، لأدخل بلا معرفة لنوع العذاب الذي ينتظرني هناك.

فتحت الباب.

لأجد نفسي داخل غرفة يعصف بها الهواء الذي يتدفق إليها من نافذة، التي كانت سبب الضجيج المشابه لصوت تعذيب بالسياط او بأداة خشبية، فكانت النافذة المحطمة مخلوعة الاوصال، منفتحة على مصراعيها تتموج بسبب هجمات الريح العاتية، فتنغلق ابوابها بقوة ثم تنفتح ناثرةً بعض من اخشابها على الأرض، ولاحظت ان للنافذة اعمدة حديد تمنع أحد من الهروب عبرها، وكأننا في السجن.

وتطلعت أيضاً، لأجد طاولة صغيرة متآكلة فاقدة إحدى أقدامهم الخشبية، حاملةً شمعةً على نهاية حياتها تتراقص مرتعدة لتزول على مهل فتنطفئ بسبب الرياح.

ارتفعت عيناي قليلا، فتذهب ليسار الطاولة لأجد سريراً، بل عباره عن مجموعه من القش العفن المتمازج مع الشوك، تجلس عليه امرأة، شاحبه الوجه حزينة الملامح، تتصبب عرقا كالشلال، ترتدي اسمالاً باليه شبه عارية ممزقة لتكشف عن صدرها، كانت ترقص مرتجفة من الصقيع الذي يأكل الجلد والعظام ويلتهم الروح، كانت تقطر دماً، مليئة بالجروح، وركبتاها مكشوفتين حمراوين داميتين، اقتربتُ اكثر لأجد رضيعا بجانب

تلك الإنسانة الشبيهة بالمسخ، كان ذلك الطفل عاري يبكي مليئا بدماءٍ ملتصقة بجسده.

اقتربت أكثر من السرير، اتطلع الى المرأة والرضيع الذي فهمت انه مولود جديد من تلك مسكينه المنهكة الخائرة القوة، واتطلع لكل زاوية من الغرفة في آنٍ واحد تحسباً لأي طارئ.

توقفت منتصبا بعد ما سرت خطوتين الى الامام، ونظرت الى ثدي المرأة غير متقصد هذا، وهي غير مبالية بي، وكأني شبح، فقلت بكلام متقطع:" اين انا؟"

" انت في وطنك، قالت المرأة بصوت شبه مفهوما متلعثم

" من انا؟

"انت مواطن في وطنك

نظرت الى عينيها المطفأتين شاردةً، لم افهم ما تقول لي، وطلبت منها التوضيح أكثر، فردت:" التنين الأحمر هو ملكك فله المجد!"

وفجأة اختفت المرأة وطفلها وسرير وكل الغرفة، لأجد نفسي في مكان ساطعٍ مُضاء، وتحتي سجادةٌ حمراء لم تُرى مثلها من قبل، فسارت نظراتي من اول تلك السجادة لأخرها، لأتفاجأ بعرشٍ ذهبيه يلمع متلألئاً مزخرفاً بأشكال مختلفة كشيطان او تنانين، مزينا بأحجار كريمة لم يسمعَ أحد عنها.

فجأةً، يظهر تنين احمر جامح يرفرف في تلك الغرفة الواسعة، ليهبط على العرش. فسجت لا شعورياً له، بلا إدراك كأني في حضره الله، فسمعت صوت دوي عصف في الغرفة، كان الصوت شبه مفهوم بسبب خشونته، علمت انه صادر من فك التنين الذي أردف:" انت هو ابني وانا هو سيدك!"

الجزء٢: العرش

لم أفهم ما نطقه هذا التنين، كنت ارتجف هلعاً لصوته العاصف كتيار ماء جرف، فلم أقدر الكلام أو الاستفهام عن معنى قوله، فكيف يكون هذا التنين والدي وانا لا اشبهه بتاتاً؟ ومتى أصبحت له خادماً؟

تطايرت هذه التساؤلات في مخيلتي كالضوء، إلى أن توقفت فجأةً وانقطعت، لأن صوتاً قوياً كصوت اعصار او رفرفة جناحي كاسرٍ عملاق هاجم مسمعي، فلم أجد إلاّ التنين يحلق فوق عشه الذهبي المزخرف، وحين ابصرته هكذا اختفى عن ناظري كطيفٍ يتمازج بعد ارعاب فريسته بالفراغ. اختفى سيدي واختفت معه الانوار التي تزين النعيم، واضمحلت السجادة الحمراء تحتي مع العرش الإلهي، اختفت المملكة التي كنت فيها، و كل شيء.

كان هذا بثواني معدودة حتى عمّى الظلام ثانيةً مع الروائح الكريهة، فأدركت أني عدت إلى نقطة الصفر، مكان ولادتي، وكأني استفقت من حلمٍ لأرجع لكابوسي. فعدتُ لخوفي وحزني وقلقي، فارتديتُ درعة شجاعتي المتكسر وخوذة حذري المتناثر.

****

انقدت الايام ثم الشهور فالسنين على مهل، حتى بدأ اليوم يظهر كأنه سنة وسنة كأنها عصر، فليس هناك ضوء يعلمنا عن نهاية الصباح وبداية الليل، نهاية العمل وبداية الراحة، بل أصبح اليوم جحيماً لا راحة فيه. فالعقل يجمد الوقت في الأيام المريرة ليسرعه في الأيام الجميلة.

المهم أني في تلك الآونة كررتُ زيارتي للأم ورضيعها، فظلت هي تنازع كل يوم من البرد وطفلها ينازع كل يوم من الخوف والجوع.

انطلقت لتحقيقاتي، لأعثر على كائنات غريبة لا تشبهني، كانت منها مسوخ واشباح مخيفة منها البشر مقطوعي الرأس، لكن لا يزالوا أحياء او تنانين وايضاً حشرات عملاقة...

كلهم تربوا في الظلام ونبتت فيهم كائنات المذكورة فاتخذوا شكلها.

كل هذه الادلة من الكائنات التي ادلت بشهادتها أمامي عن كل ما يدور في عقلي من أسئلة، كونت هذا الاستنتاج:

هناك الكثير من التنانين، ابرزهم الملك وهو التنين الأحمر، و هناك قاضة الشعب وهما التنين البني والاخر الاخضر.

كل تلك التنانين التي من نفس الجنس لا تتوافق ، فهدف التنين البني والاخضر استلام الحكم مكان الأحمر، وهذا الاخير هدفه محافظه على حكمه.

كانت وجهة نظر الاحمر تدعو الى السلم وعدم القتال، اما البني فيميل ويوفقك قليلاً على افكار الأحمر، فقط لكي يتقرب منه وينقلب عليه، ولكن كان كلامه مليء بالحقد وهدفه القتال. ام الاخضر فيري التنين الاخرين انه هو الصالح وهم الاشرار، وهدفه احقاق الحق سلمياً، لكنه يظل محتمي ببندقيته ويسير عبيده كالغنم.

اما تلك المسوخ والبشر فقد كانوا مخلوقين من طرف تلك التنانين الثلاثة، فاذا كان الاحمر هو خالق المرأة فهي تعتبره والدها و سيدها مثل حالتي انا. أما الشبح مثلاِ فلقد خلقه الأخضر فيكون تحت طاعته.

وفي النهاية الثلاثة هدفهم العرش، ولا احد يهمه ما يثبت ذلك العرش أو الذي يكون تحته، اي الوطن. ان الوطن ليس سوى منزل مظلم بارد، يأوي المواطنون او عبيد تلك الطبقة من التنانين الحثالة، وأياً كانت انتماءات تلك الوحوش والكائنات، فالجميع متضرر وسيزول، لأنه مهمل.

****

في احد الايام اجتمعت التنانين الثلاثة. وحين بدأ الاجتماع عمت الفوضة فلقد تشاجر الأخضر المناصر للقتال والبني المناصر للقتل. ما أدى لنشوب حرب بين المتخاصمين، وخوفاً من أن يتدمر القصر قرر الملك الحيادي منحهم الوطن للقتال فيه.

فتطايرت شرارات القتال فاشتعل كل شيء، قُتل عبيد الخصمين ولم ينجوا أحد، فمن كان حيادي انصهر، اختفت الأشباح واضمحلت انواع من الكائنات وانقرض معظم البشر ولا يزال القتال مشتعلاً، فانطلقت النيران من أفواه المسخين فتحولت الأرض لون الأحمر.

اما انا فالتجأت إلى الاختباء ربما اعيش قليلاً بعد. فسمعت في مخبأي صياح امرأة وعياط رضيع كان مشابهاً للبشريين الذين عرفتهما في اول ولادتي. عرفت أنهما هلكِا، بعدما التهمتهما النيران. فخفت حين سمعت الصياح فتقدمت لمصدره، لأصل إلى جثتين، كانت الجثة الأول لرضيع حاول قبل موته مضغ صدر امه التي بجانبه طالباً الحليب الذي لم يجده لأنها أصبحت جثة متفتت كالرماد في كل مكان، فلحقها الرضيع مسلماً الروح.

بعد سنوات من القتال، قرر التنين الأحمر بصفته الملك إيقافه، فطلب من الخصمين توقيع معاهدة سلام لحماية العرش.

فتم الاتفاق وتوقف القتال، لكن لا يزال وطني يحترق و يتدمر من مخلفات تلك الحرب، فرائحة الدخان تعم المكان كأنها بخور لتمجيد الشيطان، النار تتنافس على أكل اكبر عدد من مخلوقات، اما القادة لا يهمهم إلاّ العرش.

ناديتُ ملكي اسأله الخلاص، وبعد إلحاح دام طويلاً، دوى صوتي واجتاز الظلام ليصل إلى القصر. فجأةً انتقلت، فاختفى الظلام الروائح الكريهة

من حولي لأجد نفسي في القصر أمام الملك الذي علا صوته كالإعصار قائلاً: "ماذا تريد مني؟"

_ وطني يحترق والموت ينتشر. فارحمنا.

_ هذا جيد، فبفضل النار تتدفأ وبفضلها تبصر. وهكذا تعيش بأحسن الأحوال بعيداً عن البرد والظلام.

فجأةً ظهر في اعلا الغرفة كيانان يحلقان كان الأول هو التنين الأخضر والثاني التنين البني.

فسجدت ملاصقا الأرض خائفاِ مرعوباً، فتمتمت قائلاً على مسمع الجميع:" انا جائع.... "

هنا قاطعني الأخضر بكلامه هذا: "لا تقلق دع الأمر لي ستأكل حتى التخمة."

وعصف البني مردفاً:" اما انا سأطفئ النار وادفئ المواطنين "

بعد هذا وجدت نفسي ثانيةً في الوطن ألمظلم البارد في بعض الامكنة والمضيء في أماكن أخرى بسبب النار مصحوباً بدخان خانق.

لم يتحسن الوطن إلاّ للأسوء. فلقد انطلق الأخضر الذي وعد بالطعام، فمنح المسوخ والبشر أسلحة، فبدأ الكل بأكل الكل من أجل أن يعيش، فيشبع القوي اما ضعيف فيصبح لقمة سائغة تتنقل لتموت أخيراً.

اما الذي وعد بإطفاء النيران، فلقض وضع فوق اللهيب البارود، فلقد أعجب برئي الملك فرأى ان زيادة النار يولد الحرارة، بالتالي الدفء.

هكذا تحول المكان من جحيم، إلى جحيم لن يتحمله ابليس ابداً.

تضاعف الحريق الذي قتل خنقاً الكثير ومن لم يمت هكذا، مات جائعاً او مأكولاً. متُ انا من اللهيب الذي حرق اشلائي. ومات الجميع.

احترق كل شيء، واحترقت معاهدة السلام التي وقعها التنينين، فعودا القتال.

الذي دام آلاف السنين، وظل التنين الأحمر يجلس على العرش سعيداً يراقب المعركة، إلى أن وصلت النيران إلى العرش فاحترق معه وهلك.

فأكمل الخصمين نزالهما ليجلس المنتصر على العرش الذي اختفى تحت وابل النيران ويحكم على لا شيء الذي اندثر تحت وابل النسيان.

انتهى أخيراً القتال بعد آلاف وآلاف السنين، ليجلس الفراغ على العرش المختفي، فاختف الخصمين خلف نيران التي افتعلاها.

نظر الحكام للعرش ولم ينظر لما هو يثبت العرش اي الوطن، فإن احترق العرش لن يختفي الوطن أبداً، اما ان اختفى الوطن سيضمحل العرش ولن يبقى منه سوى الفراغ الذي سيختفي أيضاً."

الفصل ٢ : جحيم في الجحيم

الجزء ٣: موتٌ للتطور

كل تلك الصفحات التي بدأنا بها الرواية، لم تكن إلاّ قصة ثورية مناديه للنهضة السياسية، فلقض تم نشرها في سنة ٢٠٨٩٠ وكان هدفها توحيد العالم، بحكم واحد وسلطة واحدة غير متعلقة بدين معياً او بحزب معين يتقاتلون من أجل الحكم. بل نادى الكاتب بأن يتم انشاء عائلة حاكمة تدير العالم.

فقام هذا المناضل بنشر فكرته، ليصبح اكثر كتاب مبيعاً في العالم، فانتشرت آراء مختلفة حول هذا النداء، لكن ظهر أخيراً المألف حاكماً جباراً للعالم لكن ليس كله.

قام الحاكم بإنشاء العائلة الحاكمة اي أسرته التي ستخلفه في الحكم، وقصم العالم لدول وضع داخلها ممثلين له تسهيلاً للأعمال.

إن نداء الذي قام به الحاكم كان ذا نفع كبير، فمن المريع القتالات بين الاديان والاحزاب التي تنشبت من أجل العرش. فحين يُفصل الدين عن السياسة يعم السلام، لكن لا يعني هذا فرض الإلحاد على الجميع.

فلقد قام الكاتب الذي سنناديه من لآن فصاعداً الحاكم، بعد توليه العرش في العالم بإحلال جميع السلطات والاحزاب ومنع التجمعات الدينية إلاّ في الأعياد ونادى إلى الألحاد.

تحولت الدول لدولة واحدة، بلغة واحدة، وفكر واحد، هذا ربما جيد، لكنه يحد من حرية البشر، فيحد تفكيرهم، فيسيّروا مثل الآلة. توحده اللغة فعلاً، مع هذا ظلت هناك لغة وطنية تستعمل.

في ذلك الوقت تم تطوير القوة العسكرية بشكل هائل استعداداً للقتال، ضد من؟ ضد من رفض التوحيد بطريقة سلمية. وكان اهم اختراعات الحربية هي المستنسخون، فهذه المخلوقات التي تشبه البشر بالشكل لا تفكر ولا تقوم بشيء إلاّ القتال، لأنها صنعت من أجل هذا، فتم صناعتها بطريقة معقدة، بأخذ عينة من حمض البشري وتحويله لبويضة مخبرية يتم تعديل جيناتها فتُدمر قدرتها على الكلام والاحساس وحتى الإنجاب، لكن تتضعف نموها وقوتها، بالمقابل تموت بسرعة حين تبلغ العشرين من سنيها. وان حصل خطأ أثناء العمل يرمى المستنسخون كأنه لا شيء.

كذلك ظهرت آلات متطورة وقذائف "إلكترو نووية" التي تحتوي قوة انفجار هائل يصعب رصدها من قبل الماسحات الجوية، وغيرها الكثير من الاسلحة. كل هذا تم، غير مراعين الإنسانية لأنهم تخطوها، تخطوا التعاطف وتكبروا على هذه النعمة التي ليست مزروعة في المخلوقات الأخرى.

بالرغم من التطور الذي ظهر في قوى العسكرية فلقد انتشرت البطالة التي اجتاحت الكثير من الدول، انتشرت أيضاً التجارب الغير انسانية وانقرضت الكثير من الحيوانات التي تم استبدالها بآلات واختفت الغابات ليظهر ماكينات لتنقية الهواء. لم يكتفي البشر بالعيش على الأرض، بل انتقلوا إلى الفضاء، وانشأوا منتجعات للسياحة في الكواكب المجاورة.

ظهر قانون عدد الإنجاب، الذي لا يتخطى إلاّ الطفل واحد، فإن تخطى هذا العدد يقتل المولود او يتم ابقائه حياً على أن يتم دفع ضريبة سنوية على حياته، فيعتبر الطفل غير شرعي، فلا تقبل به المستشفيات ولا المدارس العريقة بل هناك أماكن خاص له. هذا كله ظهر لان البشر تخطى عددهم ١٠٠ مليار نسمة فتجاوز الطاقة الاستيعابية للأرض لإنتاج الطعام والماء.

من العصور القديمة انتشرت الثورات لمطالبة بحقوق الإنسان، اما الآن من يتكلم يختفي عن لائحة الوجود. لقد طالب الشعب المختار الخلاص

من مصر، طالبت فرنسا الخلاص من الحكم الملكي، طالب لبنان الخلاص من الانتداب الفرنسي بعدها ناد الرحمة من الحكم الجمهوري الذي طالب باتباعه بعد الاستقلال. بعد ان رأى الحكّام كل هذا قرروا الاتحاد بدولة واحدة، مع هذا يطالب المواطن الآن بصمت بالخلاص من هذا الحكم كذلك.

مات من صمت في غياهب الوحدة، مات من تكلم في غياهب العار، تشرد الاولاد، جاعت النساء، تشوه الرجال ، لا يزال الجميع خرس كأنهم اموات.

الجزء ٤: اول شرارة

ضم الحكم العالمي دول أوروبية و أمريكية و بعض الدول آسويه. اجتمع حكام العرب وساستها في اجتماع طارئ، اتفق معظمهم على رفض التوحيد مع تلك الدول، أولاً ليحافظوا على لغتهم العربية، ثانياً ليحافظوا على اديانهم وتقاليدهم التي ستنسى في حال التوحيد.

هذا قرار العرب، لكن ليس كلها، فلقض خافت بعضها على مصالحها فخضعت للتوحيد، مثل تركيا.

قام الحاكم الأوحد بإجبار العرب على اتِباعه، لكن رفض المسلمون والمسيحيون المتكلمون اللغة العربية، وفضلوا الموت على الخضوع لهكذا نظام.

فحصلوا على مرادهم بالموت، وبدأ القتال بين التوحيديون والعرب.

بدأت مناوشات بين الفريقين، وبدأ التجنيد الإجباري يسمع في الأراضي العربية وخدمات التطوعية لتطوير الاسلحة وتأمين الطعام للجنود .

مرت السنين وتغيرت المدن والمسؤولين، لكن لم يتغير فكر العرب إلى أن وصلنا للسنة ٢٠٩٩٥.

قبل الولوج للأحداث تلك السنة علينا اعلامكم ان هناك كثير من الدول العربية التي تطورت، منها لبنان الذي استفاد من النفط الذي احتوته بحاره، فأسس وكالة الفضاء اللبنانية السعودية، التي تقوم بدراسات فضائية ورحلات سياحية للمريخ. وتطورت سورية التي أصبحت من أهم الدول التجارية وتنافس الدول الاوروبية بالزراعة. و كذلك فلسطين تحولت لدولة منتجة صناعية تمول اقرانها من العرب في قاتلاتهم مثلما تفعل السعودية التي تصدر الاسلحة النووية بالتعاون مع إيران. لا ننسى مصر وليبيا والجزائر والمغرب التي سقفت العرب بمدارسها و جامعتها.

المهم، في ٢٠٩٩٥/٥/١٢، اقلعت مركبة "م١٠" بنجاح من وكالة اللبنانية السعودية للفضاء، حاملةً ركاب وسياح إلى المريخ، برحلة تستغرق شهرين. في اليوم عينه وحين تجاوز المكوك الغلاف الجوي للأرض، لم يعثر على المركبة ابداً، لقض فقضت مركز القيادة قدرتها على الاتصال بها. لنفهم بعد بضعت ساعت من التحقيق في قضية الاختفاء تلك، انه قبل وقت اختفاء المركبة ببضعة ثوان تم ارسال قنبلة "الكترو مغناطيسية" من فرنسا فأنهت الحياة على تلك الآلة.

هنا نادى لبنان إلى اجتماع أعلن فيه أهمية بدأ الحرب بكل جدية، اما السعودية التي فقضت آلاف من سكانها في هذا المكوك، فلم تجفن الا وارسلت صاروخين "الكترو مغناطيسين" فردت الصاع صاعين، فهبطة القذيفتين في باريس فحولت المنطقة لمدينة أشباح.

فبدأ التصعيد، فلم تسكت فلسطين ولا سورية عن الأمر بل أرسلوا مركبات إلى فرنسا.

و اجرية اجتماع طارئ للعرب استعداً للمعركة الحاسمة. أما الدول المتوحدة، فلقد كانوا مستعدين للقتال، فدمروا سفن التي تم إرسالها من قبل فلسطين وسورية، وشنوا هجمات متتالية على لبنان والسعودية.

كل هذا تم بأقل في ٢٤ ساعة، فحولة الأرض إلى ساحة معركة كبيرة وإلى مقبرة عالمية.

الجزء ٥: المعركة الاولى و الأخيرة

في ٥/١٤ قام الحاكم الثوري ان جاز ان نسميه هكذا، قام بإرسال جيش مبغاةً العرب محاصراً اليمن وجزء من السعودية. فلقد حطة مركبته الفضائية على تلك مناطق الغنية بالنفط والاسلحة. فخرج الجنود من مراكبهم واحكموا قبضتهم الغليظة على القرى المسالمة الضعيفة. انطلق المسلحون بلا ذرت رحمة يبترون رؤوس الفلاحين ويحرقون محاصيلهم، لأنهم صُنعوا من أجل هذا الغرض، فلقض كان الجنود من المستنسخين مهمتهم الاولى والأساسية هي القتل واراقة الدماء.

فتدخل جنود العرب في الحال حملات من السعودية لحماية اراضيها بالتعاون مع مشات من اليمن، مع حماية جوية أرسلتها لبنان وأخرى بحرية من طرف إيران.

احتدم القتال في الجزء الجنوبي الغربي لآسية، فتشابك البشر ذات الروح والاحساس بالمستنسخ الفاقد للحياة. تكبد التوحيد آلاف الخسائر البشرية لكن لم يخسر رباطة جأشه لان، ما خسره هي آلة او مستنسخ لا قيمة له. أما الخسائر العربية فلا تحصى ولا تعد، انصهر الابطال وبترت

أعضائهم في ساحات الوغى وتزينت الأراضي باللون الأحمر المتمازج مع سواد الرماد المتطاير. فاحترقت النقاط (الأموال) التي استعملت لشراء الاسلحة وتبخر البشر ليحمل تلك المشتريات.

سمية الحرب على لسان العرب بالحرب العربية الكبرى، اما على لسان المحتلين فلقد سمية بالتوحيدية. واتلق على هذه المعركة التي شنها التوحيديون " بالأولى والأخيرة". نعم كادت ان تكون كذلك، فقوة الطرفين غير متساوية، فإن كانت تقارن بالوزن لهبط الميزان إلى تحت الحضيض على ضفة الدول المتوحدة. فبالرغم من التطور الذي وصل له العرب فهذا لا يصل لنصف قوة التي تتحلى بها الدول الملحد تلك.

تبادلت الطلقات والمناورات الجهنمية حُفرت الخنادق وتمترست الدبابات في كل جهات السعودية التي بدأ يتسرب لها نيران الاحتلال الذي دمر اليمن بأقل من ١٠ ساعات. اختفى السكان المُهددون بالزوال، نباشين أراضيهم للاختباء، اختفت ضحكات الصغار ونميمة النساء وشراسة الرجال، ليظهر صوت واحد فقط وهو صوت إنذار الغارات منبهاً الإنسان بأن نهايته قريبة محتّمة.

اما الجنود، فمعظمهم لا يعرف استخدام السلاح بعد، كانوا شباباً دفنوا شبابهم وحرقوا مستقبلهم مودعين الحياة وهم في اول صفحات ربيعهم.

ظننا ان كاتب الذي نادى إلى السلام بعيداً عن الظلم، هو ملاك صالح يمثل المظلوم، في كتابه الذي اسلفنا وذكرناه، لكنه ظهر انه التنين الذي قتل ولا يزال يقتل بدون رحمة، هو الذي حارب بكلامه ليوقف الحرب، استلم الحكم فطمع بالأكثر ليحافظ على حكمه مثلما فعل التنين الأحمر. قتل الحقد قلبه واعمت الأنانية بصيرته، فأعمى بصيرة عبيده في الظلم والحرب واغرقهم في الدماء والحزن. ارتدى هذا الشيطان ثياب الصالحة وكأنه حمل وديع وحين حصل على مُراده خلع الصلحَ وظهر انه ذئب يلتهم أبنائه الاغبياء.

في تلك الايام، بادر المعافون عن القتال من العرب، بالصلاة ودق جرس كبير على مهل لتعزية الموتى والحزن مع الحزانى او سماع صوت الآدان مساءً يجلجل في الكل أمسية، ليذكر الإنسان انه ما زال حياً صمد صباحاً من الموت الوشيك.

حوصر جزء السعودية واستطاع المحتلون وضع يدهم على مصنع أسلحة في ذاك البلد. فكانت هذه اكبر الخسائر.

زينت الطرق بالمتاريس والإعلام الحمراء رمز الشهادة، كان من الصعب التنقل في السيارة الهوائية او حتى سيراً على الأقدام بسبب الحفر التي حولت الطرق لقبور يحتمي فيها الاشاوس كخنادق لحمية الأرض المهددة بالزوال بوجه العدوان.

عمت الفوضى في اراضي العرب، فيُسمع صخب الاولاد المشردين او المعزولين وحدهم في المنزل ينادون اهلهم، لأن رب الأسرة متطوع في القتال والام متطوعة في الإسعاف، ولا أحد متطوع لإنقاذ المساكين.

الجزء ٦: الحكومة العربية الموحدة

قرر مسؤولو العرب، جمع فريق من الشباب ذات الخبرات العسكرية من مختلف الدول، لتشكيل حكومة موحدة للاستشارة في القتال.

تأسست تلك المنظمة بسرعة، وبعد أن اجتمعت في أكثر من مرة، رُسمت كثير من الخطط، وانتخبت رئيس وممثل لها أمام الحُكام، ففاز سام بعدد الأصوات الأكبر. فهمّا بالعمل ورفع تقارير هامة إلى كبار العرب، داعياً إلى أهمية الدعم المادي.

فأجرى في ٥/١٦ تلك السنة، في ظل الهجمات على السعودية اجتماعاً طرأ، دعا فيها كبار الرجال في البلاد، فوقف هذا الشاب أمام تلك الشخصيات ملقياً خِطاباً دُونت كلماته في كُتب الّتاريخ:" يا سادة، يا ملوك الأرض، اسمعوا لصوت الشعب. بدأنا نجوع ونعطش، بدأنا نمرض ونحزن، متنا وتشردنا، وأنتم على عروشكم تَخفّيتم، نحنُ نقاتل وأنتم جبناء.

مع كل احترامي لشخصكم، لكن علينا نحنُ الحكام التضحية من أجل مستقبل الوطن، ومن أجل اللغة العربية، والديانات المقدسة، من أجل الشعب، لنقاتل، لنمت. ربما اتخذنا قراراً صعب فيما الماضي، بعدم الرضوخ تحت حكم الموحد واتخذنا الموت خيارنا، لكن لم نمت نحن بل شعبنا. "

بعد هذا الخطاب العظيم الذي حاول هزهزت عروش الكبار من احد الصغار الذين يمثلون الشعب العربي، لم يتغير شيء أبداً، فحاول سام أعادت ندائه في أكثر من مناسبة إلى أن سمعوا له أخيراً، فقررت بعض البلاد دعمه مادياً، فرَسم مع حكومته التي تمثل العرب خطةً محكةً لتدمير الإرهاب. وكانت الخطة بالهجوم الجوي لجعل العدو يتراجع من المناطق المحتلة.

وهذا ما حصل، فلقد أُرسلت فيالق عظيمة من الطائرات وأُرسلت الكثير من المركبات الفضائية المقالة، للهجوم على العدو وشلِ حركته. تكبدت هذه العملية كثير من النقاط لإنجازها.

كانت الخطة محكمة ومدروسة، فمن المستحيل استخدام الاسلحة النووية في هذه المعركة من الفريقين، بسبب تقارب مواقع الأعداء بالعرب، فإن استخدم أحد الخصمين هذه الآلهة القاتلة في القتال، انعكست عليه أيضاً بعصف انفجارها.

كان هذا الهجوم رداً على المعركة الأولى والأخيرة، وبدأ بتنفيذها في ٢٠ /٥ / ٢٠٩٩٥

*****

انطلقت الغارة ففتكت بالأخضر واليابس، لقض خسر الأعداء الكثير من مقاتليهم المستنسخين والآلات الحديدية. فانهالت الصواريخ الفتاكة على رؤوس المحتلين، فحطمت عظامهم ودمرت آلاتهم. لكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً.

فبعد ساعتين من هذا الهجوم، ارسلت فرنسة صواريخ مضاضة للطائرات، مدعومةً بآلات أمريكية شكلت أسطولاً جوياً، فردّوا الهجوم بأضعاف.

فسقطت طائرات العرب المحصنة، مثل سقوط كاسر أطلقت عليه من بندقية صياد. انهمرت تلك الآلات ارضاً، كالمطر، مخلّفةً جحيمًا على الأرض، انتصر التوحيديون مرة أخرى وانهزم العرب هزيمة نكراء. لكن هذا لا يعني انهم استسلموا.

طبعاً لن يستلموا، فهؤلاء العرب الذين توغلوا في ساحات القتال، وخاضوا الوغى، و فتكوا بعضهم بعضاً دون رحمة أو خوف، لا يزالوا

محافظين على هذه الروح، التي تسير في عروقهم كشلالات من الغضب والحسرة التي لا تنضب.

اجتمع العرب، الذين فقدوا الأمل وقرروا الانصياع للأمر الواقع، وهو الاستسلام والخضوع للتوحيد. لكن، رفض الرئيس سام الاستسلام والرضوخ تحت منظمة الاستبدادية تلك، ففضل الهلاك على أن يجعل شعبه لقمة سائغة للاغتصاب و الظلم. فقام مع حكومته بخطة مستعجلة أخرى، وناقشه في ذاك الاجتماع قائلاً:" إن خسرنا من البر، ومن الجو، وكذلك البحر، فلا يزال هناك طريقة للفوز."

_ هل جننت؟ قال أحد الحاضرين باستهزاء

_ أخرس بسببك خسرنا الكثير من الجنود والآلات. أردف آخر

_ اسمعوا يا سادة، أكمل سام بكلامه الجهوري غير مبالٍ بكلام الحاضرين. فيما نحن هنا نتحدث، هناك آلاف مِن من يموت، علين الرد بسرعة على الأعداء. فقدنا الطائرات والدبابات والسفن، لكن هناك طريقة للفوز، وهي من تحت الارض... "

عند هذا الكلام انتصب الحُكام وبدأوا يتناقشون في ما بينهم متذمرين، اما سام فلقد تابع كلامه بلا اهتمام :" خسرنا كل ما نملك من الآلات.

"ومثلما ذكر أينشتين، إن الغبي هو الذي يعود ويحاول تكرار ذات الأمر وهو متوقعاً ان النتيجة ستتغير، ففشلنا من البر ومن الجوم ومن البحر، فلن نعيد الهجوم من تلك الأماكن، بل سنخلق طريق جديد وسنخترق الاعداء من ثغرة جديدة، وهي من الأسفل." وهنا قام بإشارة بيده تدل للحضيض، بكل فخر وثقة، وكأن هذه الخطة ستكون نقطة انقلاب الموازين بين الفريقين.

الجزء ٧ :المعركة السفلى

اقتنع أخيراً الحكام، واصغوا إلى خطة سام لقلب نتيجة الحرب، فرسمت الخطة، ودُرست نفقاتها، وقصمت المهام على جميع الفيالق.

والآن بدأوا بالتنفيذ. كان هذا في ٢٠٩٩٥/٥/٢٥، تحت شعار النضال سار الجنود، حاملين علم العزة والشموخ، رافعين رؤوسهم للسماء ممجدين من تخفق من أجله القلوب. ربما اضمحل بعض الرجال وانحنوا في الخنادق المظلمة، تحت وابل الرصاص، لكن ظل الجميع ينبض بالحماس، ويتنفسوا لغاية واحدة، وكأنهم رجل واحد، يتنفسون من أجل النضال.

رغب المسؤولون انهاء الحرب في هذه المعركة الفريدة من نوعها، المسمات :" معركة السفلى" سيفهم القارئ سبب هذا الاسم في الأسطر القريبة القادمة.

أرسل العرب فرقتين إلى الأراضي المحتلة لتشتيت العدوان، تمركزت بسرعة حافرةً الخنادق ، واستخدم العرب تقنية الهلوغرام في القتال، التي تعكس صور رقمية تبان للمرء انها واقعية، وهذه التقنية هدفها ايهام العدو بضخامة الجيش العربي، فتحول بشكل اضق الفيلقين لخمسين فيلقاً وهمياً. وهدف هذه الخدعة كسب الوقت. لكن لماذا؟

لكي تحفر الجرزان طريقاِ أو نفق إلى العدو. نعم، لقض صنع العرب آلة للحفر سمية "الجرزان" فهدف هذه الخردة حفر الأرض والتنقيب بدون اصدار اي صوت وبالزكاء الاصطناعي اي ليست بحاجة لسائق لها. ولقض حرقت نقاط كثيرة من أجل هكذا آلة.

هذه المعركة كانت لاستعادة الأراضي التي خسرت، ولتفجير رؤوس الأوغاد.

*****

إليكم وصف سريع عن موقع الأعداء، تمركز التوحيديون في جنوب غربي السعودية في محافظة الريث الواقعة في منطقة جازان، فاتخذوا موقعاً استراتيجياً جيداً هناك على جبل مسمى " القهر" لكن العرب استطاع استرجاعه بعد الهجوم الجوي السابق ذكره. فاطر الأعداء إلى التراجع والنزول من سفح الجبل، فصاروا تحت أنظار العرب ومأكلاً لأفواه مدافعهم المصوبة نحوهم. فكانت جبال تلك المنطقة مركزاً مهماً للفريقين، يمكن عبرها مراقبات العرب إن كان تحت صيترت الأعداء، ومراقبات التوحيديون إن كانت تحت حماية الابطال.

بالرغم من هذا الامتياز الذي حصل عليه العرب بمراقبة أعدائهم، ، إلاّ انه من المستحيل أصابت العدو بسبب طبيعة الأرض الصخرية وصوعبت التنقل فيه، فاحتمى المحتلون وراء الصخور الضخمة، فاختفوا عن مرمى بنادق العرب.

بعد ان كونا فكرة عن موقع الذي سيحتدم فيه القتال، سنسرد لكم خطة التي رسمها قائد حكومة العرب.

تمركز العرب على الهضاب الشاهقة، وشنوا هجمات خادعة، ريثما تحفر الجرزان الجبل لتصل لمعسكر المعتدون، لكن هذه العملية محفوفة بالمخاطر والمصاعب.

فمثلما ذكرنا، طبيعة الجبال المتراصة، لكي يصل المناضلون لمبتغاهم، علهم قطع حوالي كيلومتر تحت الأرض عمودياً، وحين يصلوا إلى عمق المطلوب، ينعطفوا منطلقين إلى موقع فريستهم، فيقطعوا نصف كيلومتر، بعدها يُعاودوا التنقيب نحو الأعلى بحوالي نصف كيلومتر. فيكون المسار الذي ستقطعه الجرزان شبيها بعصاً مقلوبة، وهذا كله لتدمير الأعداء، بنسبة نجاح لا تتجاوز النصف، فلا ننسى مشاكل الانهيارات التي ربما ستغرق الآلة ومشكلة الضغط الذي يزداد مع الحرارة كل ما هبطنا للأسفل.

لكن العرب لم يستسلموا وبدأوا التنفيذ في الحال.

أرسلوا خمسة جردان بدون سائق فبدأت بالحفر نحو الاسفل، حين اجتازت تلك الآلات كيلومتر تحت باطن الأرض متحملةً الضغط والحرارة، بدأت تحفر أفقياً، صاهرتاً الأحجار والصخور التي تعترض طريقها، فهذه الحفّارة تقتات على كل شيء فتحوله لطاقة، فتستعمل الحجارة وقوضاً تخزنه في معدتها الفولاذية. في حال صعوبة حفر بعض الصخور، تطلق نيراً من مؤخرتها كالصاروخ فتضاعف من قوة انطلاقها، فتخترق الحواجز بسهولة. لا تنسى انها مزودة على رأسها بنقارة ضخمة تدور للحفر.

أخيراً قطعت افقياً نصف كيلومتر، فصارة تحت قاعدة الأعداء، علينا ان ننوه ان تلك الجرزان الخمسة اتجهت للمهمة من الحفرة ذاتها، وحين وصلت لعمق الكلومتر عمودياً، افترقت كل واحدة من جهة، مشكلةً مربع من أربع جهات، اما الخامسة فقض شقت طريقها في وسط المربع، كل هذا لحصر الأعداء.

حين وصلت تلك الخردة لأسفل التوحيديون بدأت بالحفر نحوي الأعلى، مستخدمتا النار التي تخرج من ماخرتها مثلما ذكرنا لتطير للأعلى، بلا ان تصدر اي صوت.

نحن على اوج نهاية العملية، فلقض اجتازت الآلة النصف كيلومتر للأعلى، وظلت جامدة لا تتحرك، لأن حركة واحدة ستفشل كل تلك الجهود، اكتشفنا ان تلك الآلة مزودة بكاميرات عالية الدقة، فيمكن لها التقاط الهمسات والصور حتى إذا كانت ضئيلة جداً، فترسل تلك الكنوز لمركز المراقبة على الفور. هنا يتبادر عدت أسئلة من أبرزها، كيف استطاع العرب معرفة موقع الأعداء بتلك الدقة؟

هذا لأمر سهل بالنسبة لسام وحكومته، فحين انطلقت الطائرات في المعركة السابقة متلقةً الصواريخ كالمطر، التقطت صوراً للمكان، بدقة عالية، فتلك التضحيات البشرية والمادية كانت مدروسة، فقتل الآلاف من رجالهم، ليردوا في وقط لاحق الصاع صاعين، فيبيدوا الملاين انتقاماً

لتلك الأرواح. فبعد كل تضحية فوزٌ وسلام، لأن أضحية البشر مقدسة عند الرب.

فرسموا خريطة توضح موقع فريستهم، مع آلاتهم المنتشرة، فأرسل هجومهم بعد دراسة دقيقة مطولة، فطوروا آلاتهم وصنعوا حفارات ممزوجة بحقدهم وكراهيتهم لتلك المسوخ المحتلة لتجذب عدد الأكبر منهم للتهلكة.

حين انتهت الآلات مسحها المكان وإرسال البيانات، أُمر الجنود بإخلاء ساحة القتال والتراجع سراً والنزول عن جبال القهر.

بعد هذه التجهيزات، تقضم سام في غرفة العمليات العسكرية، فضغط على إحدى مفاتيح بعد ان تنفس الصعداء متعرقاً قلقاً. ليسمع بعد هذا صوت دويٌ هائل، وصل صداه إلى الفضاء. فماذا حصل يا ترى؟

*****

بعد هذا الصوت المودي ضج الإعلام، وبدأت الاخبار تتطاير في كل مكان، وبفضل تلك المعلومات فهمنا ان هذا الدوي هو لانفجار "الكترو نووي" فلقض ثبّت العرب تلك القنابل الخطيرة على الجرزان، لتنفجر عند ضغط على زر في غرفة القيادة، فها هي أخيراً الخمسة قنابل قاتلةً كالوحش الضاري كل من تلتقي به في طريقها، إما بسبب الحرارة العالية للانفجار او بسبب الدخان السام الذي غطى الحدود الجنوبية للسعودية مع اليمن. لهذا تم امر جميع الفيالق التراجع والنزول من الجبال خشية الهلاك من الانفجار النووي المهيب.

تطاير الدخان في كل مكان كأنه بخور لتمجيد السافل الدنيء، مقدمةً ذبائح بشرية لإبليس. لقض تقاذفت أشلاء و أطراف من أسلحة التوحيد،

ولم يظهر بين تلك الخردة اي أثر لجثة بشرية او مستنسخ من الأعداء، لأنهم انصهروا.

فلق تحول غضب العرب إلى شرارة، التي أشعلت فتيل الحقد فتولد انفجاراً آباد الذين سببوا الغيظ أولاً.

كانت، هذه الخطة المصحوبة بالمخاطر انتصاراً عظيماً للعرب، ومنح رئيس الحكومة العربية سام وسام الفخر تكرماً لفكرته وشجاعته.

فاز اخيراً العرب وخسر التوحيد، وكان خسائره فادحة، فلم يعد يملك ما يكفي من المستنسخين او الآلات التي كانت تُرسل للقتال ليحملوا السلاح الذي فقض أيضاً. فماذا ستفعل؟ هل خيرها الاستسلام؟

الجزء ٨: الراحة

بعد هذه المعركة القوية، تراجع التوحيديون. وإثر ضغوطات عربية، بدأوا يخسرون مواقعهم في اليمن، فلقض ارسلت الدول المُدافعة روبوتات لقطل كل من بقي حياً.

توقف القتال على مضض ريثما تلملم الدول العظمى جراحها، وتدفن الدول العربية موتاها.

هناك مشكلة عربية حدثت، بسبب الانفجار النووي في المعركة، فلقض تلوثت معظم مناطق في السعودية واليمن، لتصبح اراضي بور غير صالحة للسكن.

تحول العرب لمسوخ، ذاك الشعب المقدس الذي سار داخله موسى ينادي الشعب بالخلاص، فظهر دين اليهودي، واقبل داخله المسيح منجياً الخطأة

بموته وقيامته، فظهرت المسيحية، وفيه خاض الرسول معارك سلام، فظهر الإسلام.

تحول الغضب إلى مسخ شرس هدفه القتل ولا يكترث للموت، ليحافظ على اليهودية والمسيحية والإسلامية، وليحافظ على لغة الأجداد السماوية، لكيلا تتلطخ دمائهم بدماء الملحدين الاوغاد. هكذا كان رأيهم، لكن هل بانتصار واحد تنتهي الحرب؟

كلا، فلقض تراجع التوحيديون ليعاودوا الهجوم بأضعف، مثلما تتراجع الأمواج للخلف، ثم تعيد اندفاعها بأضعف لتفتت الصخور. هذه الصخور هم العرب الشجعان، لكن من الصعب على التوحيديون، حتى إذا ضاعفت قوة اندفاعهم تدمير الصخور القوية، فسيبقى العرب صخوراً منيعةً بوجه العدوان حتى يقع آخر رجالهم.

فلا ننسى ان دماء الفروسية تسري في عرقهم، وأصوات المعارك لا يغيب عن آذانهم، اما صوت صلاتهم الجهوري فتظل تخرج من شفاههم بلا اي توقف، وان توقفت فالصخور ستكمل تلك الصلاة.

هكذا هم العرب، شجعان في ساحات الوغى، خاشعين في ساحات الصلاة، متحدين في الشدائد.

لكن هذا لا يعني انهم سيفوزون.

فأوروبا مشجعة الشر، قاتلة المأمنين، مدمرة المساجد، محولة الكنائس لمراقص، قويةً بل فائقة القوة، فإن كان العرب نموراً فتلك الدول مسوخاً. يأكلون الأخضر واليابس، يقتلون بلا هوادة، بلا اي ذرة رحمة، حتى انهم شرّعوا المستنسخين للعبودية وللحرب، يهدرون دمائهم المصنّعة ليفرّوا هم مختبئين، تجاوزوا إبليس بالشر، حتى أنه هو ذاته الذي رفض الله ركع امام إلاههم العلمي.

لا ننسى قوة وبطش الرومان، التي تسير في دمائهم، وأصوات القتل لا بغيب عن آذانهم، وصوت كفرهم المجلجل من صدورهم، لن يتوقف إلاّ إن أبيدوا.

****

عقدت هدنة بين الفريقين، مع هذا ظلت المناوشات قائمة، فمنع العرب رحلات السياحية للفضاء خوفاً من التهديد الجوي من الاعداء.

نظراً لانعدام الحياة الجزئي في السعودية، أخليت البلاد من سكانها، لينتقل إليها الجنود، واعتبت الأرض قاعدة عسكرية للعرب، بسبب احتوائها بالرغم من تضررها على النفط، وبعض مخازن الاسلحة السليمة.

قامت الحكومة العربية بأمر إخلاء، جميع البلاد الأقرب لبلاد التوحيديون من أبرزها: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ومصر. فهرع أبناء تلك البلاد إلى سورية ولبنان وفلسطين، وبعض البلاد المجاورة. كل هذا تم سراً، لتحل في تلك المواقع المهجورة سكانات عسكرية، لذلك سمية بالمناطق المحصنة.

اما مصر فاختارها الزعماء والساسة ملجأً لهم، فسمية بالمنطقة الأكثر تحصناً.

حُفرة الخنادق كالمقابر، وبنية المتاريس لتطمر الجنود.

نادى الناس متذمرين، من الحال المزرية. فعان البشر من الجوع، والعطش والبرد، تنفسوا الصعداء متألمين على الشهداء، مقبّلين الأرض المرورية بدمائهم.

استفاد التجار من الحرب، فرفعوا الأسعار، محتكرين السوق، قاتلين فوق ما قتلت الحرب. فتكلمنا عن الحرب بين الدول، لكن لم يتكلم احد عن حرب الاقتصادية الفاتكة اكثر من الأخرى.

فرُفع الأسعار على الطعام وحليب الأطفال، وحتى الهواء صار يباع، فكيف نُسكت الرجل الجائع، وبماذا نخرس الرضيع هزيل. هل التجار أغبياء غيرَ بشرٍ؟ هل هم وحوشاً بلا مشاعر، هدفهم الربح غير عابئين بالموت؟ هم، كالذي ينام بحضنه الأموال في سرير محترق، تراقص داخله النار. فكيف لا يخذهم ضميرهم ولو قليلاً؟ كيف يقدرون النوم، وبطونهم ملأة بأقذار أموالهم؟ في حين يتقاتل الناس بدل النوم، ليأكلوا أقذار الحيوانات، بدل إطعام تلك المخلوقات اقذارهم؟

ينادون بصمت متذمرين. والمسؤولون في بلاد لوحدهم، يحكمون الحجر هاربين من الجوع والقتال، لان البشر متاريسهم والشعب دميتهم، ينظرون إليهم يتقاتلون على المعيشة مستهزئين.

لا نخفي عليكم عن وجود رؤساء طيبين، مثل الرئيس سام المقدام، الذي أطعم الجياع وابات المشردين، كان اباً لليتامى، وزوجاً للأرامل، وابناً للعجائز. لكن كيف لإنسان واحد إسعاف الملاين بين المسوخ الأخرى؟

فتلك الصخور التي لا تجتاحها الأمواج من الخارج، يمكن أن تتفكك من الداخل، بسبب الحشرات التي تبيتُ داخله، فتحفر للخارج طُرق، فتضعف الصخرة المنيعة، لتصبح مثقوبة فيتسرب الماء إليها.

الجزء ٩: هل سننتصر؟

تسارعت الايام، فلن نعلم القارئ جميع المعارك التي حصلت في تلك الحقبة، لأن هدفنا ليس الحرب بحد ذاتها، بل ما ستؤول اليه المعركة اي النتيجة. ففي سنة واحدة من بداية الحرب التوحيدية اي في سنة ٢٠٩٩٥ مات الملاين، ودخلت الأرض بحروب دائمة ملحمية، فكيف علينا سرد

كل تلك القتالات مع التي أُنجِزت في سنة ٢٠٩٩٦، لهذا فلنتجاوز تلك السنة، وندخل لغياهب الجحيم، كان هذا في بداية ٢٠٩٩٧ التي سمية بالمجزرة الكبرى الافظع بالتاريخ. فمن الآن سيتبدّل مجرى العالم وتنقلب الموازين.

فإن كانت الحروب السابقة والمعارك السابقة معقدة ومرعبة، فسيظهر الجحيم في تلك السنة، فاتحةً مصراعيها، ناثرةً النيران المستعرة، التي لا تطفأ على الأرض. فلنسرد الأحداث اذاً.

علم العرب بمعلومات غير مؤكدة بأن أعدائهم يُدَربون جنود بشرية لحمل السلاح، بعد ان فقدوا الآلات والمستنسخين بشكل هائل في المعارك السابق.

لهذا اخذت الحكومة احتياطاتها، ورسمت خطةً محكمة للإيقاع بالتوحيدين بشباك الموت الأكيد، فبدأوا التنفيذ.

كان هذا في ٢٠٩٩٧/٣/١٥، يوم مشمس مع بعض هجمات الريح. الباردة. أَرسلت بعثة لبنانية سرية للتجسس، خبر خطير،

ورد فيه:"... سترسل فرنسة فيالق من السفن، يُقدر اعدادها بالعشرة ألاف، مدعومة بطائرات إيطالية. لتحتل الدول القريبة منها، اي تونس والجزائر وربما يصل التهديد الى المغرب... " بعد هذه البرقية استعد العرب لحصار الاعداء.

فلقض اختبأ ملاين الجنود، في تلك الدول المحصنة المهجورة. وأتت تعزيزات من كل الدول العربية ليتمركزوا منتظرين فرصة المناسبة لفتك العدو. فحين يدخل الأعداء تونس وجوارها، سيلّتف العرب حولهم ويحاصروهم من كل الأماكن فيشدوا الخناق عليهم كالرقطاء ليلتهمنهم، بعد إسقاط طائراتهم وإغراق سفنهم.

هل هذه هي المعركة الأخيرة، فنعلن فوز العرب من الآن؟

الجزء ١٠ : لماذا الحرب؟

حقاً ارسلت فرنسة مقاتليها، حولي ١٠٠ فيلق مدجج بالأسلحة، رسوا في تونس. مصحبةً بتعزيزات جوية، كان المتوقع ان الجنود المُهاجمة من البشر نظراً لندرة المستنسخين مثلما ذكرنا.

كان الأعداء مراؤون بشكل واضح من قبل العرب، فلماذا لم يختبؤوا او يتموهوا؟ هذا ما لم يفكر به المدافعين حين شاهدوا الفيالق تقترب، لأن الحماس أتى مكان الحكمة، والغضب أتى مكان الرصانة، فاستعدوا لتنفيذ خطتهم، دون أن يدرسوا أفعالهم.

دخل الأعداء تونس بلا اي مشكلة، طاحنين تحت ارجلهم الأخضر حارقين بمدافعهم اليابس، قاتلين اي مخلوق تقع انتظارهم عليه، فلقض انقرضت الكثير من المخلوقات بسبب هذه المجازر.

كان جيش المحرِرون يترقب الفرصة مراقبين أعدائهم من الجبال العالية، مثل النمر قبل أن ينقض على فريسته. كانت البنادق مصوبة نحوى المحتلين، تنتظر إشارةَ قائدهم، لتخرج العيارات النارية من أفواه تلك الآلات المرعبة.

بعد عشرة أيام او اكثر وصل الأعداء للجزائر المحصنة، وهنا بدأت المكيدة.

فلقد حاصر العرب هذه البلاد من كل جهاتها، وقصدوا ادخال العدو في تلك المنطقة، مثل ما يقوم الصياد بدعوة السمك لدخول الشباك، فكانت الطريق بنظر القتلة المحتلين خالية، ليس فيها اي بشر. وحين قطعوا حدود تونس، وجدوا البلاد مقتذ بجمهور من العرب المسلحين بانتظارهم.

هنا كشّر العرب عن انيابهم وحاصروا العدو من كل الجهات، وإذ بإشارة افتعلها رئيس الحكومة سام يفتتح به القتال، فاذا بالمدافع تطرب الأجواء، وطلقات البنادق تحول الجو الصافي إلى مكان اشبه بالجحيم. فتبادل الفريقين النار. بعد ان هبطة طائرات المحتلين فوق رؤوس المتقاتلين.

*****

كانت روح المعنوية للجنود العربية عالية، لأن انتصارهم بات وشيكاً، حتى لو تدمرت الأراضي وفتكوا بأبنائها، فسيتم إعادة ترميم ما هُدم، لكن من يقدر أعادت أحياء من خُسر؟

تحولت الجزائر لبرك دماء، روت الأرض من زخات تلك الأمطار المحمرة، تهطل رويداً رويداً على الحضيض، تمازجت دماء الأعداء بالأخيار، دلالةً على أن كل من يقاتل هم بشر، هم بشر متشابهين بالأعضاء والأجساد والدماء، فلماذا الحرب اذاً؟

سؤال لا يملك جواب، يوضع في خانت الأسئلة المعقدة، كمفهوم الوجود ومفهوم الميتافيزيقية والماورائيات. إن كانت الحيوانات تقاتل للعيش، لتأكل، هذا مبرر لقتالها، لكن لماذا الإنسان يقاتل؟ إن كان ليس بحاجة لالتهام أخاه الإنسان ليظل صامداً؟

تقاتلت الأمم من أجل الأرض والمؤمن، وهذا كان في العصور المنصرمة لكن الآن، رُسمت الحدود وتساوت المؤن بالتبادل التجاري، فلماذا الحرب اذاً؟

جوابه بصيت، من أجل السياسة، تخطى الإنسان كل مراحل الجهل، من الجهل الديني والجهل الثقافة، لكن لم ينجح في تخطي الجهل السياسي في الحكم. لهذا تنبت الحرب، فإن الطفل الذي لا يعرف التعبير عن جوعه او مللله يتخذ البكاء ملجأً له، اما السياسيين حين يصلوا إلى مرحلة لا يعرفوا الإقناع في كلامهم، يستخدموا الاسلحة للترويض.

فالحرب الآن تظهر فقط من أجل الحكم والسياسة، لكن ما زنب حاملين الاسلحة من الشباب.

فإن كان القتال من أجل السلطة، فليتقاتل الحكام اذاً فيما بينهم بلا إدخال الشعب البريء بالأمر. لكن الواقع مغاير لهاذا، لأن الحكام جبناء، يعرفون الكلام الذي ليس بكلامِهم، يُمثلون على الشعب بدل ان يُمثلوا الشعب، حمقى منافقين، يختبؤون في الخلف، لأن هناك من يحميهم، في النهاية يموت من يحميهم من الجنود الاشاوس، فيهرعوا مستلمين هاربين خوفاً من الموت.

هذا اختصار الحرب، تكتيكات غبية لحماية رأس المدبر، بالنهاية خسارة فادحة حتى إن فازوا في القتال، خسارة بشرية واقتصادية. فيهرع الشعب الجائع ليطالبوا بسلطة جديدة. فتأتي تلك السلطة أفظع من السابق، لأن الحُاكم الجدد يبنون فوق ما هُدم من قِبل من سبقهم، يبنون على اثاث غير ثابت، فيقع ما بنوه فيعاود الشعب الغاضب صياحه.....

هكذا السياسة، اكسب ثقة الشعب، اسرق، فاهرب.

الجزء ١١: نهاية المأساوية

دام القتال شهرين بين الفريقين ولم تحسم النتيجة بعد، لم يرسل العرب تعزيزات لجنودهم من طعام وأسلحة، إلاّ ان رئيس الحكومة نزل لساحت القتال بنفسه ليشرف على كل شيء هناك.

خاف هذا الأخير، بعد ان انعدمت الاتصالات مع رؤساء البلاد، فلم يحصل على الإمدادات بالوقود والذخيرة، قلق من الموت جوعاً ونفاذ طلقات الاسلحة.

وان دخلنا بين صفوف الأعداء، نجد ان مؤونتهم تنفذ كذلك وجنودهم يندثرون شيءً فشيءً، ولم تصل إليهم أيضاً المؤنة من مسؤوليهم بسبب الحصار عليهم. فقدوا كل ما عندهم، رامين العرب بالرصاص الذي نفذ عندهم أخيراً.

فاطر الفريقين، المنعزلين المتروكين لمصيرهم المجهول، إلى القتال بالأيدي مثل قتال القدامى، بالسيوف او بمؤخرة بنادقهم الفارغة او حتى بأقدامهم دهاسين بعضهم بعضاً.

تلاطم الجيشين وتصادموا، مثل تصادم أمواج المحيط بصرخةٍ قوية، فينتج عن هذا فقاقيع بيضاء بمشهد اخاذ، اما في ساحة الوغى فاستضام الفريقين ينتج الدمار والموت والرعب بمشهدٍ مريعٍ، فتنتشر الدماء ملطخة الحضيض، فنسمع أصوات القاتل والمقتول المرتفعة حزناً، فلا القاتل يرغب في القتل والمقتول يرغب في الموت، لكن ان لم يَقتل أحد ويُقتل احد فلن تنتهي الحرب.

بالنهاية، نسمع صياح ام من التوحيديون مناديًا ابنها المقطوع، يصل صداه للفضاء. او امٍ عربية تنادي ابنها المحروق، فيصل صدى صوتها السماء. لا يهم من يسمع صوت النداء الحزين هذا، لان صداه واحد هو: "أعيدوا ابني إلى حضني"

****

وصلنا إلى ليلة ٢٠ /٢٠٩٩٧/٧، ليلة الصفر الحاسمة، ليلة تشاؤم وحزن، ليلة الاخيرة للمعركة التي اشتعلت من بضعت أشهر بعد وقوع الأعداء بفخ مثلما اعتقدنا.

هذه الأمسية، اختفى القمر عن ساحت القتال، اختفى هذا الكوكب المنير، لكيلا يرى مشهد الموت الأكيد، اختفى، لكيلا يسمع صوت بكاء أحد

الأطفال على شهيدٍ مات او رؤية ندبات الأمهات مقبلين وجوهاً حزينة كانت سابقاً بشر.

فلقض سُمع صوت غارة آتٍ من إيطالية، مكون من مآت الطائرات التي وصلت لساحة الوغى، زارعةً الذعر في قلوب المقاتلين، وحين دقت الساعة التاسعة مساءً، يُسمع صوت اول قنبلة الكترو نووية تلمس الأرض، فيصاحبها مآت من تلك القذائف الجهنمية.

هنا لم يخرج أحد سالماً، بل تبقى أشلاء مبعثرة هنا وهناك، ذكرى لرفات الشهداء من الفريقين.

حاول سام حين تدارك الأمر إجراء اتصال طارئ لرؤسائه، لكن ما من مجيب، لأن الساسة اختبأوا من الموت، باعوا بلادهم، وهربوا من مصر التي احترموا فيها، ولم يعثر عليهم أبداً.

فمات الجميع، حتى جنود التوحيديون أُبيدوا جميعاً. احترق المسؤول الوحيد الذي كان جيداً حاملاً سلاحه مقاتلاً ولم يهرب ابداً، نتكلم عن سام المقدام الذي هرع حين سمع صوت اول قذيفة لنجدة جنوده ليكون اول الشهداء.

فماذا حصل يا ترى؟

*****

لقد قام التوحيديون برسم خطة قبل إرسال جنودهم لاحتلال تونس والجزائر، وهي إرسال بشر للتمويه إلى المناطق القريبة من بلادهم، معتقدين انها أكثر منطقة محصنة بالجنود، فهكذا ضحى آلاف الرجال بحياتهم من أجل خطة.

فحين تشابك الفريقين، وتلها العرب عن حماية باقي اراضي العربية، اي ان معظم الجنود العرب تجمعوا في منطقة واحدة، أرسل التوحيد غاراته، لتفتك بهم لكيلا يبقى مقاتل عربي إلّا ولقى حتفه، غير مبالية بموت

جنودها العشرة آلاف. فاعتبرت جنودها حجر شطرنج، فضحت بقطعة لتأكل من عدوه حجرين بدل الذي فقدته.

فَشُتت العرب بعد فقدناهم قائدهم الحربي سام وهرب رؤسائهم، فاستفاد الأعداء من الفوضة الداخلية، فأرسلوا جيشاً من المُشات مع مراكب مدججة بالأسلحة، فدخلوا سورية عبر اجتياز حليفتهم تركيا، وهكذا بدأت الخسائر العربية بالارتفاع، فاحتلوا سورية وحرق علمها، دخلوا لبنان وفلسطين، فالأردن، اما العراق فأبادوا أهلها والسعودية فاختفى شعبها.

انتهى القتال حين احتلوا اليمن آخر أهدافهم، كان هذا في ٢٠٩٩٧/٩/٥.

وفي هذا التاريخ انتهت الحرب العربية الكبرى او التوحيدية، ليبدأ نظام حكم جديد متوحد في العالم، كان الحكام يمثل بالعائلة الحاكمة.

هرب حكام العرب خوفًا من الموت، فعانى الشعب، وتفاقم غضبهم ولن يشفى غليله، حتى ينتقموا.

لم يمت كل العرب في الأرض، بل خيروهم بين انصياع للعائلة الحاكمة او الموت. منهم من مات غير متحمل ما جرى، ومنهم من أخفى ضغينته منصاعاً منتظراً الخلاص.

الفصل ٣: الرجال التعساء

الجزء١٢:البؤس يولد المال

انتهى القتال، وانضم العرب للتوحيدين وأصبح الحكم في العالم موحداً تحت جناح العائلة الحاكمة. وسمية هذا الجيل اي ما بعد الحرب بعصر النهضة السياسية.

لن ندخل ونتحدث عن هذا العصر الآن، لن نعلم عن ما جرى بعد الحرب المأساوية الكبرى. بل سنرجع بالزمن إلى ما قبل اندلاع المعارك، لأن هناك أمور هامة اخفيناها سابقاً ولم نذكرها إلاّ الآن.

في سنة ٢٠٩٥٨، كانت البطالة منتشرة في لبنان، بشكل جعل الكثير من الناس يهاجرون او يجلسون عاطلين عن العمل.

انتشرت في تلك الحقبة العصابات والمنظمات الخطيرة الغير قانونية طبعاً، هدفها التخريب او الانقلاب على الحكم في البلاد. لكن هناك من وصل بهم المطاف بسبب بؤسهم، لبيع أنفسهم وارواحهم للآخرين عبر الانضمام لجماعات سرية للدعارة او الاتجار بالبشر او بيع المخدرات وتزوير المال. هؤلاء هملوا انسانيتهم وانقلب لوحوش، لان العالم الذي

عاشوا داخله، كان غابة يفوز من هو قوي ويموت الضعيف، فلهذا شُكلت عقدة في داخلهم وثغرة في قلوبهم تؤلمهم ان لم يقتلوا.

في أحد الايام من تلك السنة القذرة، يُسمع في أحد أحياء بيروت الخالية التعيس، صوت رجلين، يتكلمان بصوتٍ عالٍ عن أمور غريبة.

إن اقتربنا أكثر من موقع الصوت، نجد المتكلمين في عمر الثلاثين، بشعا الوجه بسبب بعض الرماد الموجود على انفهما. كان أحدهما طويل وضخم والآخر قصير كالعفريت هزيل. لم يكونا متشابهين بالجسد، الّا من ناحية الشعر، فلقض كانا ملتحيين واصلعي الرأس. تمتم أحدهما وكان القصير: "هيه هل ما زلت تعمل في تصليح السيارات يا جورج؟ "

_أفضل من أن أكون عاطل عن العمل مثلك يا جون.

_ما أجمل أن تكون عاطلاً، تظل سكراناً سعيداً متديناً، لكن مستمتع في حياتك، بلا عناء، فتلوحك الشمس في عملك، اما انا فلا ارى الشمس، أظل في منزلي أفكر بطريقة لأتهرب من دفع ضرائبي.

_ علمني اخي جونسون العمل، فأصبحت عادة في دمي.

_اما يزال حياً هذا الغبي؟

لن نكمل كلامهم الذي لا معنا له، لكن هذين الشخصين مهمين في أحدث التالية. ففي ليلة مظلمة، التقيا مساءً بعد ان سكرا في أحد الملاهي، وحين خرجا من هناك، تمشيا قليلاً في أحد الاروقة المقفرة. وفي الطريق تلاقت أعينهم بطفلة بعمر ١٢ سنة أو أصغر، تمشي وحيدة هناك.

فبفعل السكر، اختطفا الفتاة، ولم يعثر عليها أبداً فيما بعد، فماذا حلّا بها ولأخريات تم خادعهن أيضاً؟

من هنا دخلا عالم السفالة، فمن ناحية اختطاف النساء، من ناحية أخرى تزوير الأموال الرقمية، فبذلك استطاع جورج دفع ديونه واشترى جون منزلاً فخماً له، لقض أصبحا ثريين. فاستفاد من المال للحصول على رجال ليتمكنا من انخراط في عالم المخدرات، حتى ظهرت عصابة

"رجال التعساء" مرؤوسة بقائدين مجهولين، حتى أفراد العصابة لم تتعرف على رؤسائهما المقنعين بأقنعة مميزة تشبه وجه البشر، فلا تميز بينها وبين الوجه الحقيقي.

كان جورج وجون الملقبين بالإمبراطورين، يرسلان المعلومات والاحداثيات لرجالهم، الذين اما يقتلوا او يسرقوا او يبيعوا حسب الطلب وحسب المكافأة.

كانا بارعان بالخداع، فيجلسان في قاعدة العصابة السرية، ويحصلان على ما يردان بضغطة زر وبمبلغ بصيت. يخفيان وجوهم الحقيقية بأقنعة منسوجة، يخفيان أصواتهم بآلة موضوعة داخل الاقنعة، متنكرين في الحياة الواقعية على شكل عمال صيانة سيارات هوائية.

خُدع الكثير من الناس، وأغري آخرين بالمال الذي يحصلون عليه مقابل أعمال بصيت، كإرسال حمولة pentagoneمن هذه المنطقة لأخرى، أو قتل هذا وخطف ذاك.

فاستفد العاطلون عن العمل من هذه العصابة، فكسبوا أموال طائلة تكفي لشراء **سيارة هوائية** بعد كل مهمة، لكن من يعمل ضد تلك المنظمة الإجرامية يختفي.

شعار العصابة السرية المطلقة والصمت التام بكل ما يتعلق بها. وعلى المنتسب ان يمتلك هويتين، الألوة انه عضوا عصابة وعليه التكتم عن الأمر، والثانية موظف في مكان ما، لكيلا يثير الشبهات.

في غضون اقل من سنة على انشاء المنظمة، أضيف فرع جديد مختص بالنساء، فيزيد مدخول التعساء كثيراً، بطريقة شبه قانونية، وهي الدعارة.

ففي تلك الحقبة، أصبحت الدعارة عمل قانوني، لكن يجب على العاملة ان تنضم لنقابة خاصة لتلك المهنة. ولكي تكون العاملة شرعية عليها اعلام الدولة. فلقض أدركت الدول ان عاملات الهوى تحصلن على اعمالهن أموال طائلة، فلهذا وضعت قانون في هذا الخصوص، فتحصل الدولة

على أموال زبائن تلك الشريفات بالمقابل تعطيها مبلغ شهري، اي تقوم الدولة بأخذ أموال الضخمة لتمنح العاملة جزء بصيت منها. ما اعتبرته العاملات غير عادل.

لهذا هربت كثير من هن، ومارسوا هذا العمل سراً بطريقة غير قانونية، تهرباً من الدولة. فاستفدت عصابة التعساء من الوضع، فعرض على تلك الفتيات أموال مضعّفة بشرط العمل تحت جناحها.

وهكذا دخلت العصابة بعالم الجنس. ولتعرفوا قذارة القائدين، كانا قبل موافقة بدخول أحد العاملات للعصابة يخضعنهن لاختبار جنسي كما يسمِيانها، ليقيموا سلعتهم. فحصل جون وجورج على جنود هوىً، فعاشوا بالسعادة الفائقة بعد ان كانا بالفقر الدامس.

ونذكر القارئ، انه بالرغم من كل ما جرى، لم يعرف أحد ما يوجد تحت قناع الإمبراطورين.

الجزء ١٣: قاصرة

في سنة ٢٠٩٥٩ نشطة العصابة وازداد طمعها، وتضعف مبغضيها. زاد عدد رجالها وتضخمت مداخيلها، فتملكت الاسلحة والسيارات، مهدِدةً السلام العالمي بطريقة سرية.

في أحد الايام، كان جون في ملهى ليلي يتسكع مع النساء، ويبيع بالخفية المخدرات مدعياً انها هدية أعطاها اياه صديقه تستراً على حقيقة عصابته.

انجذبت في تلك الأمسية فتاة تبان انها بالعشرين من سنيها، بسبب أناملها الطويلة وجسدها المكتمل النمو الرائع وثيابها المكشوفة وضحكاتها

الخجولة. لكن في الحقيقة كانت قاصرة بالسابع عشر او اقل، تشاجرت مع أهلها هاربةً من منزلها داخلةً المرقص مدعيةً انها راشدة لتنسى همها.

فتعرفت على جون، وتسلت معه بالأحاديث الطريفة، إلى أن أهداها قليل من الممنوعات مجاناً، ليجذبها رويداً رويداً لعالم السفالة. قررت عدم العودة للمنزل، كارهةً أهلها، فمن عادة الشباب التشاجر مع الاهل فيضمرون الكره قليلاً، لكن الحب يغلب الضغينة فيتصالحوا فيما بعد. أما جون فلقض خدعها وأقنعها بالمبيت خارجاً ونسيان أهلها. فكانت من الفتاة ان صدقته، فأعطاها مالاً وحجز لها منزلاً كبيرًا تعيش فيه.

بدأت يومياً بمرافقته، طالبةً منه هدية كالتي منحها سابقًا، فكان يلبي بكميات قليلة، لأنه بدأ تنفّيذ خطته الاستغلالية. فوضعها في خانة صديقاته الحميمات.

هكذا توطدت العلاقة بين الاثنين، إلى أن تفوه جون بهذا

الايضاح:" كاترين، هل تحبيني"

_طبعاً

_انا... لا اريد ان اخفي عليك شيء، انا.... انتمي لعصابة، لا تخبري احد.

_ماذا؟

_ وهذه الهدايا من المخدرات، هي تقدمة من رئيس العصابة بذاته، فلقض أعجب بك، وقرر ان تنضمي له.

_سأفعل ما تريده انت يا حبيبي، لأنك الذي اعتنا بي، ليس مثل اهلي الشياطين، افعل ما تريده بي، فهذه طريقة بسيطة لكي ارد جميلك...

هكذا خُدعت كاترين، معتقدةً انه عضوا في العصابة، وفي الحقيقة هو قائدها. فجذب فتاة جديدة طاهرة إلى سجن الدعارة القذر.

في اليوم التالي من تلك المحادثة، انتقلت كاترين التي سنسميها هكذا مثلما دعاها الخبيث، إلى مركز العصابة لتقابل القائد، الذي مثلما نعرف هو حبيبها جون نفسه.

حين دخلت الغرفة المخصصة له، وجدت رجل بملامح بشعة على وجهه عرفة فيما بعد انه مرتدي قناعاً، جالساً محاصراً بالنساء الشبه عاريات. فخافت جامدةً بمكانها لبضعة ثواني، لكنها اكملت سيرها للأمام، إلى أن اوقفها صوت القائد المخيف العميق المبهم، بسبب آلة تغير

الأصوات: "هذه انتِ يا كاترين. سمعت عنك من عميلي جون. لن اطول الحديث. هل تريدين العمل معي؟"

فوقف وتقدم إليها بضعت خطوات، ماداً يده ليصافحها دون أن ينتظر جواباً.

تجنبت الفتاة المصافحة، وتمتمة خائفة مراقبة ما من حولها في الغرفة واردفت " ما هو هذا العمل يا... يا سيد"

_انه بسيط، بيعي جسدك، وانظري إلى المكافأة. هنا فتح حقيبة فاخرة كبيرة أمام مرأى الحاضرون، كانت حاملة أكياس متراصة محتوية المخدرات.

_لم أفهم جيداً؟ قالت الفتاة قلقة

_إن بعتِ جسدك للناس، ستحصلين على هذه المخدرات النادرة مع آلاف النقاط لتشتري ما يحلوا لك.

هنا بدون اي تردد، وافقت الفتاة مفتونةً بالعرض، لم تفهم كيف تبيع جسدها، لكن لا يهم إن كانت ستحصل على هذه الثروة كلها.

بعد ان وافقت، باعت في الحال جسدها للقائد للاختبار الذي به يقيم جسدها ويفكر بسعر سلعته. بعد الاختبار منحها المخدرات وبعض النقاط كمكافأة، فتناست ما فعله بها هذا الأخير، نسيت كل شيء حتى حبيبها جون، لأن حبيبها الآن هو المخدر.

****

لقد دخلت، الفتاه بهوة ساحقة مسمى الدعارة، هي تكره العمل به، لكن انغمست داخله، فلن تتمكن من الخروج. غطت نفسها بأقذار العالم، فلن تستطيع تنظيف جسدها بسهولة، لن تقدر ان تطهر.

سيرهقها العمل الشاق الشيطاني من جهة، وسيرهقها العمل الداخلي اي ضميرها من جهة أخرى. ستُفترس لتَفترس المكافأة، ظناً منها انه بعد كل اتعابها ستحصل على مكافأة تريحها، ليست الا هدية خسيسة، تهلك جسدها عبر جعله يرتاح في هو أخرى، وهي المخدرات.

فظنت ان تلك العقاقير الممنوعة ستجعلها ترتاح من العمل الشاق، لكن في الواقع سيريحها قليلا، ليعذبها طويلا. هكذا كانت المدعوة كاترين، تحارب بصمت، متألمة بعذاب مرٍ، مُدعية انها مرتاحة وسعيدة، لكنها تهلك في بالخساسات الأليمة.

تتاليت إيام الشقاء ليتبين مع مرور الزمن ان للفتاة الجميلة التعيس لها اهل وأخ يصغرها غير شرعي، فقدت هذه الأسرة حبيبتها كاترين وانطلق البحث عنها خائفين ان يصيبها مكروه.

بدأت الشرطة تحقيقاتها في سنة ٢٠٩٥٩ وانتهت في بداية الشهر الأول من سنة ٢٠٨٦٠، فيستيقظ الناس على خبر مريع، وهو العثور على فتاة شقراء بعمر ١٧ جثة هامدة في أحد الأنهار.

وبعد إجراء بعض التحاليل، تبين ان الفتاة القاصر مُعتدة عليها ما أدى إلى حبلها من بضعت أشهر بعدها قُتلة. وهذا التحقيق الأولي كان قريب للحقيقة.

فحبلت كاترين فعلاً، كان حبلها من الإمبراطور المجهول الذي نعرفه نحن، فقرر هذا الأخير ابقاء على حياة الطفل، ليمنحه ابوته فيرث العرش في العصابة في المستقبل. وفي ليلة ٢٠٩٥٩/١٢/٢ سمع في مركز

العصابة صياح رضيع علا في ارجاء المكان، فخرج طفل من قوقعته ليدخل عالم الاجرام. ونعلمُ القارئ ان الام التعيسة حُبسة كل فترة حبلها في أحد زنزانات العصابة.

وحين ارضعت ابنها لأول مرة، أوخذ منها، ورمية هي في السجن العفن المظلم. لم يدَعوا الطفل يسمع صوت نبضات قلب أمه ليشعر بالدفأ، وهي لم يُسمح لها بشم ابنها الطاهر.

لكن كاترين لم تستسلم، بل في ليلة باردة ادعت المرض، ليدخل مسلح سجنها ليتفقدها، فتنقض عليه وتضربه حتى الموت، وتضعه على سريرها العفن وتغطي رأسه للتمويه. خرجت من الظلمة بعد اقفالها القفص على الميت.

حين خرجت، وصلت لمركز الشرطة، فانطلقت لتبلغ عن العصابة وعن موقعها، بعد ان قامت بتحقيق واسع وخطير بكل ما يتعلق بتلك المنظمة، حتى انها عرفت هوية والد طفلها اي هوية أحد الإمبراطورين المقنعين، هو الذي احبته في الماضي، جون.

دخلت المخفر، وما لبثت ان وصلت أمام مكتب المفتش وهمت بالدخول، حتى لمسها أحدهم من الخلف، فنظرت مرعوبةً بطرف عينها للوراء، لترى جون واقفاً بلا اي قناع، مهدداً اياها داخل المخفر بسلاح صاعق ادخله بطريقة ما إلى المكان المحمي والمدعوم بأجهزة تحت البنفسجية، فيستطيع مراقبات كل شيء، فادخل سلاحه مجتازاً التفتيش، غير خائفاً من القبض عليه.

اخرجها من المكان التي لجأت إليه بصمت، بعد ان تمتم بأذنيها كلام خافت. فتوجها معاً لمكان مجهول وأخيراً صعقها ورماها بمجرى النهر الهائج في فصل الشتاء. ليُعثر عليها بعد شهر من الجريمة، فاقدين أثر الجاني.

الجزء ١٤: الوعد بالثأر

إثر مقتل القاصرة كاترين، انتشر التحقيق وتوسع، فعُثر على كثير من الادلة تثبت ان الحادثة مُفتعلة. عرف المحقون انها كانت مدمنة على الكحول والمخدرات وتبين انها حُبلة. استطاع التفتيش الحصول على شريط فيديو الذي سجله المخفر، يبين فيه دخول الفتاة الى مركز الشطة وتهديدها من قبل رجل لم يلاحظوا ملامحه، بسبب ارتدائه قبعة وزي يخفي بشرته كلها، فكان مغطاً من اعلا رأسه إلى أخمص قدميه.

ونفيد الذكر أن كامرات المراقبة تسجل المعلومات لعشر سنوات متواصلة.

المهم بسبب قلة المعلومات التي بحوزة الشرطة، جُمدة القدية لحلها في المستقبل، دفنت بسجلات داخل دُرج قديم في المخفر.

****

في مراسم دفن المجنية عليها وقف اخاها المدعو هينو الباغ من العمر ١٤ سنة وصاح بالمعزين قائلاً:" سأنتقم من قَتَلة اختي، لن أنسى هذا ما حيت" كان الرجل بجسد صغير ولسانه سيف ذو حدين يفتت من اعترض طريقه.

ظل هذا الكلام يجلجل في قلب الصبي، لكن مات في قلوب الناس ونسيه الجميع. فدخل من عمر ١٦ سلك الشرطة بعد إلحاح وعزيمة، بمهام بسيطة كالتنظيف، هذا كله ليبحث عمن قتل اخته وثئر القانوني من اجلها.

*****

هناك أمور مبهمة حصلة للفتاة كاترين، فحين هربت من العصابة ودخلت المخفر، لماذا خرجت منه بعد التهديد، إن كانت ستموت على اي حال. فلماذا لم تمت وهي تصيح فاضحةً امر العصابة، حتى لو تم قتلها من الخلف؟ فإن ماتت هكذا، سيتم حصار جون الذي يهدها بالتالي ستنتهي العصابة.

هذا الأمر لم يُخف الإمبراطور، لأنه حين هددها، لم تخف من الموت أبداً، بل خافة من كلامه الخافت الذي تمتمة في اذنيها فلقض قال:" ان تفوهتي بحرف سأضغط على ذرار يعلم رجالي ان يقتلوا طفلك، لكن قبل هذا ان يشرحوه حياً على مهل"

إثر هذا الكلام، قررت الاستسلام للجحيم لينعم ابنها النعيم. لكن هل سيعيش ابنها في هذا السلام في عصابة الظلام؟

الجزء ١٥: تكشيرة الوحش عن انيابه

حين خرج الطفل من بطن أمه، منحه والده اسماً وهو جان ونسبه الى عائلته آل كنعان.

من هذه اللحظة دخل عالم الإرهاب من أبوابه الواسعة، فلم يتعلم الكلام إلاّ للشتم، لم يعرف كلمة الله إلاّ متأخراً. لم يرضع من أمه إلاّ مرةً واحدة، ليرضع في النهاية من فتيات الهوى الذين اعتنوا به.

كانت أول كلماته نتق بها بشهره الثالث، كلمة كفر. فجرت داخله دماء ابيه السادي الشيطان.

لم يعرف الحب، ولم يُحب أحد إلاّ نفسه، لا يثق بأحد حتى بابيه، حَذر دائماً، تعلم بدل الحساب في المدرسة حساب المخدرات، وبدل ان يتعلم اللغة تعلم لغة العصابات، لم يتعلم علوم الإنسان، لأنه أضحى وحشاً ليس بإنسان، أجرى منذ نعومة اظافره تشريح لجثث الحيوانات تحضيراً لظهور المسخ الذي فيه. إغتُصب من طرف والده، عُذب من طرف مُربيه من النسوة التعساء، اضحى بركةً تصب داخلها الإهانات، فتكونت نفس جان الاجرامية، التي بدأت تخرج إلى العلن رويداً رويداً.

فارتكب جريمته الأولى في عمر العاشرة، فسرق بعض الأشخاص، حتى أصبح المجرم الأكثر خطورة في المنظمة.

كان الوحيد الذي يعرف شكل الإمبراطورين، فكان الوسيط بين رجال العصابة وقادتها، إذ أضحى نائبهما.

*****

لنخبر القارئ إحدى البشاعات التي ارتكبها، ذاك الفتى في ربيعه الثاني. في سنة ٢٠٩٧٩ تلق الرجال امر من جورج بقتل أحد افراد العصابة يعمل مع الشرطة للأفاع بها.

فذهب جان وحيداً، ودخل منزل المتهم بالجرم المشين، فحمل خنجراً مقطعاً الرجل لأشلاء، ففصل رأسه عن باقي جسده، وحين انتهى من التشريح، ابصر من حوله عينين بريئين تحدقان به بخوف، كانت ابنت القتيل تُحدق مذعورة بوالدها المقطع أمامها.

فتوجه جان نحرها ثم قبّلها على خدها وعانقها، حينها غرس السكين التي في يده من خلفها غادراً بها، لتموت بجانب والدها.

بعدها تأكد أن كل شيء أضحى جاهزاً، فاحرق المنزل، ليخفي مشهد القذارة داخل اللهيب، الذي التهم الاب المتقطع وجثة الصغيرة الخائفة.

هذه حادثة واحدة من آلاف الجرائم، التي اقترفها جان بكل برودة دم وهدوء.

الجزء ١٦: تمت المهمة

مثلما ذكرنا ان جان ممثل للقائدين في مختلف الاجتماعات، فكثيراً ما ينطلق إلى مؤتمرات سرية بين رجال خطيرة وعصابات ليتحدثوا عن مصالح مشتركة فيما بينهم، كتبدل المخدرات او بيع فتيات الهوى.

كان لا يخاف أحد حتى الله نفسه، فيدخل ساحات الشغب غير عابئ بالموت المحدق به. فيراقب اعداءه الذين ينشرون البغض للعصابة التعساء، يرسل رجاله إلى الطائرات ليفجروها او يرسلوا المخدرات لبلد

آخر، ليشتروا الاسلحة من بعض المناطق، وأحياناً هو من يذهب معهم ليرى عن قرب نجاح المهمة.

في يوم مشرق، أتى امر من والده بتفجير طائرة توقل عامة من لبنان إلى نيويورك بعد طلب فدية.

فدخل هذا الأخير المركبة مقنعاً حاملاً الغاماً مزيفة بيده، لأن الحقيقية كانت مزروعة فعلاً في الطائرة، بفضل تنكره سابقاً بزي عامل تنظيف للطائرة، فزرعها قبل الإقلاع.

صاح بالحاضرين ان يمنحوه اموالهم الرقمية وممتلكاتهم من هواتف ومجوهرات. حتى أنه تجرء ودخل مقترة خاصة بالشخصيات المهمة، فقتل الحراس وجمع ممتلكات تلك الشخصيات، وحين انتهى قفز من الطائرة وهبط بأحد الجزر التي تمر فوقها الرحلة وهناك انطلق مع رجاله بطائرة خاصة ليعيدوه إلى لبنان.

هكذا اختفى، ولم يعرف أحد صوته او شكله، لأنه حين هبط إلى الجزيرة ضغطة ذرار تفجير القنبلة المزروعة سابقاً فصهرت الطائرة واختفت، تلاش الكبار والصغار ولم ينجوا اي مسافر.

بالرغم من كل هذا، كانت شخصية جان هادئة فلا يغضب بسرعة بل يطول التفكير بكل خطوة يقوم بها، لا يحب الكلام كثيراً، لا يملك ذروة رحمة، جاد دائماً، يكره الخطأ.

****

ففي صباح بارد مزين بالغيوم انطلق في سيارة هوائية مع شاب احتاج للمال فخُدع من طرف العصابة بتأدية بعض المهام مقابل مكسب مادي محترم، وكانت مهمته الآن جلب الممنوعات.

فنزل هذا الشاب من السيارة متوجهاً للمكان المُراد، اما جان فظل منتظر في العربة مراقباً محيطه، مطيل التفكير.

حين عاد الشاب وبيده صناديق مغلقة، يُسمع صوت دورية من الشرطة تقترب من السيارة، وتأمر جان النزول. ليفهم هذا الأخير ان الشاب المَخدوع هو من الشرطة السرية دخل العصابة لينهيها.

هنا لم يخف جان أبداً، بل تنفس مطولاً مغمض عينيه، وبحركةٍ رشيق منه حمل سلاحه وأطلق على الشاب فقتله، فشتت انتباه الشرطة قليلاً، ليترجل من سيارته مباغتاً محاصريه، فيختفي مبتعداً، حينها ويُسمع صوت انفجار، لقض قام جان بتفجير وسيلة نقله القريبة من الشرطة فقضى على معظمهم، ليرجع بعد دقائق فيحمل الصناديق المحتوي على الممنوعات، لتكتمل المهمة، فيرجع لمركزه.

الجزء ١٧ : رجُل ذو وجهين

ربما اعلمناكم، لكن سنعيد تذكيركم ان القوانين صارمة من حيث عدد الولادات في العالم، فيقتصر على طفل واحد في كل عائلة، ومن ينجب اثنين يعتبر الثاني غير شرعي وعلى الاهل دفع الضرائب سنوياً لحياة للطفل، بالرغم من هذا لا يسمح لمولود الثاني دخول المداس الجيدة او التوجه للمستشفيات عريقة او حتى الوراثة، فله مراكز خاصة للاستشفاء والتعليم، ليحاول العالم ومواكبة ضغط البشري، مثل حالة هينو. من نحية أخرى من تخلف عن دفع ضريبة الولادة يعتبر الطفل غير شرعي ويستوجب الموت.

لم نتكلم عن السيد جورج شريك جون في رئاسة العصابة، اما الآن سيتمحور حديثنا عليه.

استفاد هذا الأخير من القانون السابق ذكره، لخداع ماجو اخت الصغرى لروز من عائلة الاسمر الشريفة والغنية. ففي سنة ٢٠٩٨٢ حين شارك بأمسية مدعياً انه من رجال الأعمال، أقنع ماجو بالعمل بالدعارة وهذا ما حصل، لم يرضى ان يختبر جسدها مثلما يفعل مع الأخريات، لأنها كانت بشعة كالوحش.

وحين تأكد أن ماجو هي البنت الصغرى للعائلة، اي لا ترث، قرر الزواج من اختها الآنسة روز ليستولي على مال عائلتها. قبلت الكبرى بسرعة هذا العرض، بسبب انخداعها بانه رجل أعمال غني ذا نفوذ، ووافق والدها العجوز كذلك.

لم يكن أحد من عائلة الاسمر يعرف علاقة جورج بماجو، التي لم تعد تأتي إلى المنزل لأنها في وكر من اوكار العصابة. تم الزواج وقرر جورج اخذ اسم امرأته فأضحى جورج الاسمر.

ولم تعرف الاختين ان جورج قائد لعصابة، تنكر بقناعين، الأول حين خدع ماجو مدعياً انه صديق لرئيس لمنظمة سرية والثاني حين خدع روز بكونه رجل اعمال ذا نفوذ.

فحين تأتي ماجو لتتقاضى أجرتها لعملها الشريف، يظهر جورج مقنعاً كقائد لها فلا تعرفه، وحين تخرج ترى جورج ذاته بلا قناع ينتظرها لتذهب معه لنزهة، بعدها يذهب لزوجته روز ليتعشى معها كأن شيء لم يكن.

وعلينا اعلامكم، انه لم يقترن بزوجته أبداً لأنها كانت قبيح مثل اختها، فادعى انه غير قادر على الإنجاب.

*****

في ٢٠٩٨٢/٩/١٨ توجه الزوجين لقصر الاسمر لعشاء عائلي. تأخر الوقت قليلاً، فادعى جورج بأنه سكران ليبدأ الكلام المقطع عن ماجو أمام

مسمع والدها المريض، كان متقصد الأمر ممثلاً دور السكران بجدارة لينتق بهذا الايضاح:" سمعت ان ماجو تعمل في الدعارة"

وهنا تتوقف نظرات عمه الكبير في السن ينظر اليه دون أن يرمش لبضة دقائق، ثم يقف ليسير بكل سرعته الذي يسمح به عجزه، ليطلب من صهره إعادة ما قاله بوضوح أكثر، وحين اعاد المخادع كلامه لم يُشاهد إلاّ الاب العجوز يسقط ارضاً أثر الصدمة التي تلقاها.

فكيف يعقل لبنت شريفة ان تعمل هكذا أمور؟ كيف لبنت متحدرة من عائلة عريقة لا ينقصها شيء أن تبيع جسدها.

فدخل العجوز المشفى، وحين استفاق من غيبوبته نادى المحامي فطلب منه إزالة اسم ماجو من عائلته، ورفض ان يدفع على حياتها الضريبة انا مفروضة. هكذا لم تعد تلك المرأة ابنت عائلة شريفة واعتبرت غير شرعية تستوجب الموت.

وبعد بضعة ايام مات العجوز أثر نزيف دماغي، فورثت روز مال والدها كله، وبكون جورج زوجها حمل اقتصاد العائلة واموالها، فصرفها على نفسه. إن موت سيد الاسمر كان مدروساً من قبل جورج الذي قتله في المشفى، ليتبين انه نزيف دماغي.

بفضل هذا الزواج تستر المُخادع أكثر على هويته بكونه الآن من عائلة الاسمر.

الجزء ١٨ : استبداد من العدالة

بدأت الحياة الزوجية الصالحة للثنائي جورج وروز تظهران للعلن، فهذان الملحدان اعتنقا المسيحية لجعل الناس تظن انهم صالحين، وهذا مراد الزوج، الذي لكي يخفي نفسه أكثر دخل وزوجته جامعة الحقوق، قانعاً زوجته ان العلم مفتاح النجاح، فزور شهادةً جامعية تبين انه متخرج سابق في المُحاسبة، وهكذا بدأ من سنة ٢٠٩٨٣ طريقه في الدراسة.

كان يعمل على مخطط إجرامي، يقلب فيه السلطة ويصبح وحده قائد التعساء بعد ان يوقع بشريكه جون. وطمع بالسياسة، وللانخراط بهذا المجال عليه التثقف والحصول على المعلومات وتكوين علاقات مع الحُكام والمسؤولين، لهذا يدرس المحاماة، كان طموحه السياسي حكم العالم وتوحيده تحت جناحيه هو.

هكذا بدأ يدرس ليحفر في الخفاء قبور البشر فيجعل العالم في قبضته.

*****

لنعد إلى سنة ٢٠٩٨٢، هربت ماجو من العصابة حين اكتشفت أمور خطيرة متشابكة حولها وكشفت أمور حول قائديها وعلاقة صديقها الحميم جورج بهما.

لم تعي ما حصل بوالدها المدفون من بضعة ايام، فالتجأت إلى قصره الذي أضحى لأختها الان، فحين دقت الباب لم تجد الا جورج أمامها بجانبه روز أختها، ليتحول الشك ليقين في افكر ماجو، فعرفت كل شيء، جورج هو زعيم العصابة وزعيمها، حبيبها وزوج اختها ورجل الأعمال في ذات الوقت، فهربت من البيت قبل أن تصرفها اختها الغاضبة متهمةً ايها بقاتلة والدها.

هربت تلك البائسة لكن الى اين؟ ماذا ستفعل؟ والى من تلتجئ؟ هذه الأسئلة هملتها ماجو التي عرفت بالحقيقة كلها، فقررت افصاح كل شيء للشرطة.

هذا ما حصل فلقض توجهت إلى أحد المراكز، مجتازةً الطرق بحزر لأنه من المعقول ان احد من رجال جورج يتبعها ليقتلها.

لحسن الحظ، دخلت المركز فتوجهت لغرفة المسؤول. وحين دخلت لهناك لم يبادر الشرطي بأي عمل، إلاّ بطلب هويتها، وحين ابرزتها باغتها رجلان ووضع المسؤول الاصفاد بيدها قائلاً:" انت ماجو الغير شرعية تم القبض عليك"

هكذا لم تنجح في اعلام احد عن الحقيقة الخطيرة، لأنها نكرة. فساقوها للذبح صامتةً، سارت مُحاصرة من الرجال إلى أن أصبحت في خارج المركز في الشارع المظلم، وحين حاولوا إدخالها السيارة لنقلها للسجن استعداداً للإعدام، قامت بضرب الرجال بساعديها القويين، فجسدها أقرب ان يكون لرجل على أن يكون لمرأة، فكانت ضخمة البنية ما ساعدها على كسر القيود من يديها والفرار كالغول الهائج.

أصبحت بخطر من طرفين متضادين، هما العدالة التي تريد قتلها والظلم الذي يريد دثرها عن عالم الوجود.

الجزء ١٩ : حقد يتفاقم

هكذا اختبأت المسكينة من وجه العدالة ومن وجه الظلم، لان الوجهين ظلماها.

اختبأت كالجرذان في القمامة، لم تعرف أي شيء لتكسب معيشتها، الاّ عمل التي تربت عليه في العصابة، اي الدعارة. فراحت تعمل بهذه القذارة بالخفية غير راضية لتكسب لقمة عيشها.

إلى أن تحولت هذه الأعمال البشعة إلى هواية تفضلها اكثر من العمل الشريف. لان التجربة تتحول إلى عادة، والعادة لمسخ يتغلغل في الإنسان فيدمر كيانه السابق فتصبح تلك العادة غريزة الإنسان الجديدة. فإن لم يقم بتغذية هذا المسخ يموت الإنسان.

فأصبحت الدعارة بالنسبة لهذه المرأة الاه تأمن به ولا يهمها اتعاب هذه الشناعات، لأنها أصبحت وحشاً لا تشعر. يمكن القول ان ماجو السابقة المدللة ماتت ليظهر مسخ فاغر فاه ليلتهم كل ما يعترض طريقه، هذه هي ماجو الجديدة القذرة، لأنها اكلت أقذار العالم، خدعها أحدهم لتخدع هي بدورها، ضُربة لتضرب بصمتها وبأعمالها البشعة، فتمنح من يدفع جسدها كله، تمنحه كل حريتها، لأنه اشتراها، ثم تسرقه بإغرائها الأنثوي بل الشيطاني، فتهرب لتعيد هذا العمل بالخفية ثانيةً.

لكن بالرغم من كل هذا، فالحقد سيولد الضغينة التي ستأكل كالوحش من سبب هذا الحقد. فبدأت ماجو الابحار نحو الانتقام بالخفاء. فبفضل أعمالها الشريفة السافلة نجحت في تزوير هويتها، فسافرت للفضاء لتعيش هناك فتهرب من ملاحقيها، لكنها ستعود لتفتك بأعدائها، هكذا كان وعدها وقسَمها.

الفصل ٤: على طريق الثأر

الجزء ٢٠: زرع وحصاد

ان الانسان عبارة عن مزهرية، تضع فيها بذرة فتنضج ليظهر بعد فترةٍ أوراق تبين إن كان الزرع سيء او جيد، وكذلك تبين نوع النبات المزروع. فيمكن ان يكون علقماً لا نفع له إلاّ للتعذيب، او زهرةً من الاقحوان الذهبية.

فالتربية والمعاناة بذرة تُزرع في الإنسان من المجتمع، فإما يحصد السعادة او البؤس الذي سيظل متمسكاً به كالعليق فلا يقدر ازالته إلاّ ان انها حياته او حيات الذي زرع هذا البؤس.

تتمازج في نفوسنا اسما معاير العاطفة التي نكسبها مجاناً من الأهل، إلاّ إذا كان هؤلاء وحوش بلا قلب، ثم تتفتح هذه الاحاسيس البريئة ويسقيها

المجتمع الصغير الفتي، فنروي عطشنا للعلم والمعرفة، وهنا ينكسر اول جناح من شموخنا اللطيف فنكتشف الموت والحياة، ويظهر من أعطانا الحب على حقيقتهم فيعلمونا البغض والسير فوق الآخرين وتحطيم كل من يمسنا.

لكن هذا الأمر الذي نتعلمه بشبابنا يجعل قلوبنا لينة، ليست مثل الرمال الجارية ولا مثل الصخور المنيعة، هنا نتفتح أكثر لندخل إلى المجتمع الكبير الذي فيه نحن صغار، فينكسر جناحنا الثاني فنهبط إلى هوة نطبق ما تعلمناه في طفولتنا.

فنحطم رقبة أعدائنا ونعلن مبغضينا، وليس هناك من أصدقاء إلاّ للمصاح الشخصية، حتى ننسى من منحنا الحب في صغرنا، من علمنا ومن تعب من أجلنا. فنقول: "صرنا كبار" على من هذا الكِبر؟ على من كبرنا؟ هل على الاهل؟ لم نكبر بل تكبرنا، تكبرنا على نعمة العاطفة المجانية، تكبرنا على أهلنا. ليس هنا الامر المعيب، بل حين ننجب فراخاً لنا نعلمهم الحب في صغرهم ونمنحهم الرعاية، وحين يتفتحوا صالحين، نُسيّرهم للشر الذي تَعلمناه.

ثُم نُهمل ونترك، لأننا الآن كبار واطفالنا أكبر منا، متكبرين على ما فعلناه لهم، فنموت وندفن وننسى كسائر المخلوقات على الأرض.

هذا كله في الحياة السعيدة، لكن ان تكلمنا عن حياة التعساء، فهنا الجحيم يفتح أبوابه، لننطلق ندخل لنستكشفه.

فالبؤساء يحيون في بيئة حيوانية، في أسرة من السفّاحين السفالة، فتظلمه وتعذبهم، هذا ان لم تقتلهم وتبيضهم.

فهؤلاء لا وجود لهم اصلاً إلاّ للعذاب والموت، فيعيذون من طرف من أعطاهم الحياة بدل ان يمنحهم الحنان، فتكون فيهم الارهاب من نعومة

اظافرهم، هذا ليبقوا أحياء. ونجد هذه الحالة في جان الذي لم يعرف امه ولم يلتقي باباه، إلاّ ليتعذب.

وهناك البؤس الذي يتكون من المجتمع الصغير بالتنمر، او في المجتمع الكبير بالنفي، مثلما يحصل مع ماجو التي هُملت.

في كل الحالات، سيتشكل مسخ في نفس المظلومة، فإما يسيطر المظلوم عليه لكي يحيى بسلام، أو يخرجه من قفسه كالحيوان الضاري يؤذي الظالم فيرتاح.

الجزء ٢١: اول خطوة لترويض وحش بشري

رجوعاً للأحداث قصتنا، سنرجع لنجد أنفسنا في أواخر سنة ٢٠٩٨٨ حين بلغ جان الثلاثين تقريباً.

في تلك السنة تبين ان روز زوجة جورج حبلة وبعد التدقيق لم يكن حبلها من زوجها، بل حين تخرجت من كلية المحاماة تعرفت على أحدهم، فأغوته بمالها لينتج عن هذا الحبل.

حين علم جورج بالأمر لم يتأثر أبداً بتلك الخيانة، لأنه لا يحب زوجته اصلاً، فأبقى على الجنين من أجل خططه التدمرية، فيمكن للطفل ان يرث حكم الارهاب منه، بعد التخلص من جون وابنه جان.

فصار جان قنبلة جون لتدمير شريكه في العصابة جورج فيحكم وحيداً، وكذلك أصبح الجنين قنبلة جورج لتدمير شريكه جون، هما لا يراعيان مشاعر هذين المخلوقين المشابهين لآلات قتل على أن يكونا بشر.

كانت علاقة الصديقين جون وجورج متوترة وراء الكواليس، فيدعيان الصداقة حين يلتقيان ببعض وفي باطنهما الكره، يفكر كل منهما بالإطاحة بالآخر فتصبح العصابة ملكه وحده، لا يطمحان لهذا فقط بل بالسياسة أيضاً، يعملان بصمت وخفية يرتديان أقنعة فوق أقنعة الطهارة.

أضحى جورج محامي مشهور، ففي الصباح يكون في مكتبه يحل القضائية وفي اليل يختفي داخل العصابة، يرسم المخططات، لا يهمه شيء سوى إنجازها.

المهم حصل هذا الرجل على خادمات اشتراهن من العصابة، مدعياً انه احضرهم بفضل جهده بمُرافعاته أمام المحاكم، وتلك الفتيات هدفهم الاساسي رعاية امرأته الحبلة.

بفضل مرافعاته وقوة كلامه وبديهته أضحى مشهراً، ليحمي المتهم او فريسته بمعنى أدق، وكانت روز تسانده ببعض القضايا.

رغب جان بالتعلم لأن أجواء القتل خنقته قليلاً، فوافق والده مزوراً بعض الأوراق، فخاض الامتحانات ليُقبل في الجامعة فيدرس المُحاسبة. كان هذا في ٢٠٩٨٦ وتخرج بعد ٣سنوات لكن لم يستخدم شهادته.

*****

في أحد ايام الباردة، في بداية ٢٠٩٨٩ توجه جان لمنزل جورج ليقدم له بعض المخدرات لإنجاز سفقة. ادعى امام روز الحبلة انه صديق قديم له في التجارة، لكن حين توجه إلى غرفة الجلوس تبين ان زعيمه ليس بالمنزل.

فهم بالخروج، ليقع نظره على شابة شقراء حسناء الوجه هيفاء الجسد، جذابة لولا بعض اللكمات على وجهها الحزين وثيابها المهترئة الرثة، بالرغم من الحزن لا تفارقها الابتسامة المشعة، كانت إحدى خادمات

الاسرة، انحدرت من عائلة مسيحية مؤمنة، فوالدها كان كاهناً عجوز قام بتربيتها بعد وفات امها بمرض جلدي ناتج الأشعة البنفسجية المرسلة من الشمس، ليلحق بها العجوز بذات المرض ايضاً بلا مبالات من أحد لأنه كاهن، لا تنسى أن تلك الحقبة بدأت الحكومة تلاحظ مدى غباء المؤمنين وتمسكهم بخرافات لا معنا لها بحد زعمها، بدل الالتجاء للعلم.

المهم ان الفتاة تُركة وحيدة لتواجه مصيراً مبهم لا نقدر القول سوى انه الجحيم. فلقض عُثرت عليها العِصابة في سنة ٢٠٩٨٣ واشتراها أخيراً جورج لتصير خادمة وعبدة له. فأجبرت على اعلان الحادها حتى إذا كان اسيادها مسيحيين علاناً، لكنها مارست اعتقاداتها سراً.

لقض أرسلت بريقاً من وجهها الساطع، غُرست كسيوفٍ من نار في قلب جان، الذي لم يعرف الحب أو العاطفة. فأرسلت هذه الشعلة إلى فآده المستميت فأحيته، ارسلت امواجاً هائلة، من عينيها البرقتين حين تطلعت اليه بنظرة احترام، لتصطدم به تلك الأمواج من الطهارة التي لم يفهم معناها. تلاطمت كلماتها البسيطة التي

كانت:" ستغادر؟ " جدار أذنيه بكلامها الناعم وحركات شفتيها الشائبة، فضمدت جراحه. كل هذا جرى بلا اي إدراك من جان الذي حين تقدم من الباب تطلع نحوها لبضعة ثواني وهي منحنية أمامه للوداع، هذه النظرات كانت أكثر من كافية لرسم الفتاة وطباعتها في عقله وقلبه، كأنها لوحة لملاك. ثم خرج.

بهذه اللحظات لم يشعر العميل السري باي تأثر، بل حفظ الفتاة في نفسه. فكانت اول قنبلة بشرية دمرت أقوى رجل بالعصابة، أطلقتها فتاة ضعيفة لتهدم اول حائط من مبنى المدرع الذي يصلّب قلبها.

فكانت بداية عملية ترويض هذا الوحش. إنه لم يعرفها امه ليعرف الحب، لكنه عرفها بالحنان الذي قُدم له بنظرات تلك الفتاة.

_____

الجزء ٢٢: وراء الكواليس

تتاليت زيارات جان لآل الاسمر بلا سبب، وهو عالم ان جورج ليس في المنزل. لم يعي السبب ذهابه هو أيضاً، فقط حين يكون هناك يشعر بالراحة ويزول قلقه.

في زيارته يلتقي الخادمة، وباللّقاء كان الصمت حديثهما، فلا يتبادلان إلاّ التحية وحين تتكلم هي، يشعر بانه ملك حصل على ما يكفي من المجد.

أما الخادمة فلاحظت فرقاً في الزائر، فبأول لقاء كانت نظراته خشنة حادة، اما الآن فهو هادئ. لكن ظلت هي حزينة وهو غاضب، لأن عالم البؤس التهمهما، لكن هل من منقط؟

*****

من ناحية أخرى سنتكلم عن أوضاع لبنان في تلك الفترة، فلقض اعلمناكم ان الوطن عانى من البطالة وكثرة العصابات، لكن في ٢٠٩٨٥ انقلب الشعب على الحكام، فطرأت إصلاحات هامة عبر الحكام الجدد بالتعاون مع المحيط العربي.

فلقض ساهم العرب مع شباب الأرز، بإنشاء مركز ابحاث فضائي اللبناني السعودي التي ترسل المركبات للفضاء للدراسة، وظهرت أخيراً من لبنان رحلات السياحية الاولى للمريخ، ما ادخل للأراضي اللبنانية السياح والواردات المالية. ونتج أيضاً مشاكل تجارية بين لبنان وأوروبا.

هكذا اختفت تدريجياً البطالة وظهرت وظائف جديدة، وتطورت الاسلحة ونُظمت صفوف الجيش وعمت السيادة الكاملة على الأراضي، فهكذا قبض على العصابات والمليشيات.

بالرغم من هذا، لم تخف عصابة التعساء من تهديد الشرطة، بل جارت التطور واستخدمت مراكب الفضائية لأرسال الممنوعات للفضاء. فكلما تطور الأمن، تطور الإرهاب أيضاً.

من ناحية، كان جون يعمل في العصابة لحمايتها وتطويرها، فأرسل شحنات مخدرات لبلدان العالم والمناطق المأهولة في الفضاء. من ناحية أخرى همل جورج امر التعساء بل عمل على ابدتهم، لأنه مثلما قلنا هدفه أكبر من منظمة مخدرات، هدفه حكم العالم.

فلقد كون علاقات بحكام لبنانين بكونه محامي وكشف مخططاتهم، وعمل مع مليشيات خطيرة من مختلف البلدان. ومن اهم من تعامل معهم عن بعض هو رجل مجهول لا يعرف أحد جنسه ولا جنسيته سنلقبه بX

فاتفق معه ان يثير الشعوب كلها في كل اقطاب العالم، بغرس فكرة ستفجر كل شيء، بزرع مفهوم جديد للسلطة في قلوب الناس وإنشاء حركات ثورية.

هذا كله كان يعد رواء الكواليس، فأضحى جورج ذات الالف وجه محامٍ في المجتمع، زواج أمام روز، قائد عصابات أمام جون، وقائد ثورة في الخفاء.

لهذا نفسر غيابه الشبه دائم من منزله، فلقد كان مشغولاً بلقاءات سرية محفوفة بالمخاطر، لأنهاء العالم وتحويله إلى مقبرة تحت رحمته.

ففي شتاء القارص من سنة ٢٠٩٨٩ تحت أنظار القمر النائم وراء السحب، بدأ جورج العمل بمساعدتك الرجل المجهول X، فبدأ بكتابة كلمات لتُنشر في العالم، لتحول الشعب لوحوش تثور من أجل المجهول.

ربما حزرتم ان ما كَتبه في تلك الليلة هو ما قرأتموه في بداي الرواية، اي عن التنانين والصراعات فيما بينهم للحكم.

نعم تلك الكلمات المقدسة انكتبت على يد ابليس، لا لأغراض جيدة بل لحصاد الأرواح.

الجزء ٢٣: اول خطة للأمام

ان التطور في لبنان، ادخل منظمات عالمية اليه للتحقيق بشؤون خطيرة، وكانت اهم تلك المنظمات **"GI"** التي ظهرت بعد انتشار الفساد في الوطن وتأثيره على الخارج.

هذا ما أدى مثلما ذكرنا لتعطيل الكثير من العصابات، لكن هذه الاجراءات تأخرت جداً لتنفيذها. هكذا دائماً، يموت من يموت يُقتل من يُقتل ويُفجر من يُفجر، يهرب حاصد الأرواح والقاتل وكذلك المُفجر، بعدها تبدأ الدولة تحقيقاتها، تنتهي بأقفال الملف دون حله، فإن كانت المشكلة خطيرة يهرب مفتعلها يضج الإعلان، ليتدخل المجتمع الدولي فتنظر في القدية، فلا تجد فيها حل لأنه مضى على الأمر عقود فترمي المحضر، لتصبح القدية تحت غبار النسيان في زاوية الحياة.

نقول آسفون لكل من أُكل حقه بسبب مجهول. لم يقدر العالم كله امساك سفّاح واحد أو مجموعة من الاشرار، لا لأنهم ماكرون حاذقون، بل لان الدولة غبية لا تملك الوقت للقضايا الإنسانية، فهي مشغولة بالقضايا ترقيع صورتها أمام دول المنافسة، ولتخفي اعمالها عن التاريخ عبر قتل أصحاب الحق، كُتّاب الحقيقة.

فلا فائدة من المنظمات الوطنية ولا الدولية او العالمية، ان كان الحكم بقبضة عصابات يستخدمون اسم الصلح والسلام، كالخراف يدخلون بيننا ليكشروا عن انياب الذئب بعد ان توافق يا غبي عليهم.

المهم، تدخّل التحقيق العالمي بالشؤون الوطنية في لبنان، وباشر عمله بعد سنة من وصوله إلى تلك الأرض، انتظر هذه المدة ريثما يوافق جميع الحكام على عمله.

بأبحاثهم ترابطت الخيوط، فلقض قبضوا على رئيس إحدى العصابات التي تبيع الجنس بطريقة غير شرعية، ووصلوا عبر استجوابه لمنظمة أخرى تعاملت معها ومنها إلى أخرى، إلى أن توقف الخيط في مكان واحد، ويعتبر اهم منظمة خطيرة في العالم العربي، فمن يقف ضدها يختفي، نعم نحن نتكلم عن عصابة التعساء.

تمت اول عملية رصد لهذا النيزك الفتّاك، والآن العمل على تدميره قبل ابادة الارض.

الجزء ٢٤: خطوة للأمام وخطوة للخلف

في شهر ١١ من السنة المشؤومة للعصابة ٢٠٩٨٩، انطلقت دورية عسكرية مدربة من ال "GI" بعد اتصال خطير يحوي موقع جورج

رئيس العصابة المسمى دولياً " 18_20_40" فلم يكن أحد يعلم هويته إلاّ القارئ وشريكه جورج وكذلك جان.

فانطلقت مآت السيارات المدببة وعشرات المروحيات للواجهة المحددة، هو موقع السري للعصابة، اوكار التعساء، فاحتلال ذاك المركز يعني انتهاء العصابة.

ففي الساعة ٩ مساءً تم تطويق المكان، يبدوا الموقع معزول محاصر بغابة صغيرة مقطعة، ويظهر مصنع هناك يبان قديم، حين دخلت فرقت الاستطلاع لم تعثر على شيء أبداً.

حُفّزوا على استمرار بحثهم لساعات، بعد ان وجدوا بعض الادلة كمخلفات أسلحة مرمية او أكياس فارغة تحتوي مساحيق تُبين انها مخدرات. اخيراً استخدموا ماسحات بالأشعة تحت البنفسجية، لتكشف طرق وحفر تحت المبنى.

لقض قام التعساء بتجهيز مخبئهم بكل شيء، فيبان انه مصنع، لكن ان توجهت لأمكنة معينة، مثل فتح خزانة عتيقة هناك وإزالة أحد القطع الخشبية فيها ستجد مسار يأدي لأسفل. حفرت العصابة مخابئ في المبنى، بنوا انفقاً دقيقة الصنع، تقوض للجحيم والنعيم معاً.

فتجد عند نزولك اطنان من المخدرات وآلاف من الاسلحة وإعداد هائلة من حامليها. وتجد ملاين او أكثر من النقاط المخزنة في شرائح غير شرعية منها حقيقية واخرى مزورة، وتجد غرف فتيات الهوى.

تم اقتحام المخبئ عبر المستطلعين من الآلات والمستنسخين، ليجدوا الاسلحة والمخدرات وشرائح الأموال، لكن لم يعثروا على اي من أعضاء العصابة او فتيات جهنم، لقد اختفوا.

في الساعة الثامنة بعد منتصف الليل، بعد تحقيق دقيق متواصل، عثر الجيش على مخارج شبيهة بأنفاق تأدي إلى الغابة الصغيرة ومنها

للشارع، من المتوقع ان كل من كان داخل المكان المحاصر التجئ لتلك المخرج ليهرب.

لكن لم يقدر أحد فعل شيء، لأنه حين وصل عقرب الساعة للدقيقة الخامسة، اندلع حريق في المكان انتهى بانفجار مفتعل ومدروس من التعساء.

هكذا فاز وخسر الفريقين، فلقد اكتشف الجيش موقع العصابة وبعض الادلة وعرفت سعر التقريبي لممتلكاتها. أما الفريق الثاني البائس فلقض اختفى ولم يترك اي أثر له، بعد ان تخلص من معظم الادلة في المركز بالتفجير.

تخلصت العصابة من مخبئها وفتكت بآلاف الجنود الشُهداء ليصحى العالم كله على خبر عظيم، هز الإعلام وبكى اهل الشهداء على من فقدوا، احرق قلوب الشعوب، لأن المسألة الآن ليست وطنية بل عالمية. انكشفت من هذه اللحظة أكبر مليشيا سرية ولا يزالوا يبحث عليها.

علّقت GIعلى هذا الموضوع قائلة: "انها البداية فقط"

الجزء ٢٥: الخيانة

لتفهم مصدر الاتصال الذي جعل GIتتحرك علينا تذكير القارئ عن تعاون جورج مع المجهول X، فلقض عمل الاثنين معاً للحصول على الحكم في العالم وراء الكواليس، فيسيطران على العالم اجمع.

إن الأنانية تولد الحقد والكراهية، فكان جورج يعمل للوصول لهدفه مُستفيداً من المجهول لينقلب عليه وينسى أمره، فيأخذ هذا المُخادع زمام الحكم وحده. لكن انقلبت الطاولة رأساً على عقب، وتحطم رأس جورج وانهدم شموخه واندثرت أهدافه.

فحصل عكس ما أراد هذا الأخير، فاستفد X من رئيس العصابة البؤس، فحطمه ليصبح هو حاكم الأرض وحده . وحصل الأمر حين اتصل هو بالتحقيق العالمي موشياً بموقع العصابة وكل ما يملك في جعبته من معلومات.

استطاع جورج تدارك الأمر، قبل وصول الدوريات ببضعة دقائق وحِصار المكان، فأخلى المخبئ بمساعدته شريكه جون الذي فجر المركز عن بكرة ابيه.

فهم المَخدوع كل شيء، أراد الانتقام، لكنه لا يعرف شكل ولا حتى جنس X فكيف يوقع به.

قام المجهول بإكمال القصة الثورية التي عمل عليها مع جورج عن بعض، ليصدرها في ٢٠٨٩٠ فيصبح هو حاكم في الأرض اجمع، يظهر وجهه أخيراً للعلاً، بلا خوف مسمياً نفسه اب ليقتل بلا شفقة، والشعب ساكت، وسمي حكمه بالعائلة الحاكمة.

والآن علمنا كيف ولد الحكم الموحد في العالم، وكيف نشأت الحرب العربية الكبرى، كل هذا بسبب الكيان X

———————

الجزء ٢٦: نداء استغاثة

ها هي النعمة الإلهية تتدخل، لإنهاء الشر، لكن لن يعم الخير بعد.

في مساء ٢٤ من الشهر ١٢ سنة ٢٠٩٨٩، في عيد مقدس عند المسيحين المتبقي آن ذاك، توجهت عصابة التعساء مع قائديها ومعظم أفرادها إلى مدينة الملاهي، طبعاً ليس للتسلية واللهو، لكن لماذا؟ لماذا تخاطر العصابة برمتها بالذهاب لمكان مكشوف خاصةً بعد التهديدات الأمنية لها؟

ضحكات الأطفال وصخبهم الجميل، ابتسامة فتاة تطلب من جدها الإسراع لشراء الوجبات، اما الثياب فمتلألئة جميلة تضيء في الظلمة. نجد شابات يتكلمن عن أمور تافهة مع بعض، والشباب متحمسون فامتلأت عباراتهم بالشتم وعلت أحاديثهم عن مغامرات هم الحميمة. صياح الباعة يجلجل في الارجاء، وبكاء المستعطين واستعطافهم يلوي قلوب المارة.

هكذا كانت أجواء العيد، مليئة بالإلحاد بعيداً عن الكنيسة، الفرح يهطل في كل مكان بعيداً عن الله، في السهرات الفاجرة والسكر القاتل، المهم الجميع مستمتع ما عدى رجال العصابة المتنكرين، المراقبين بحذر كل شيء، واضعين ايديهم في ستراتهم الجلدية السوداء ليستعدوا لسحب السلاح المخبئ هناك في حال الخطر.

كان القائدين يتحاوران، محميان بجثة ضخمة كانت لجان، المتيقظ دائماً، يستطلع محيطه، فينظر لألعاب الأطفال ويسمع صياحهم ويستنشق اطايب مُعدة من النساء ويتذوق سيجارته الكهربائية، ويشعر بلمسات باردة من متوسل مسكين جاس على الأرض يناديه. كل هذه الأجواء جعلت نفسه

حزينة لسبب ما بالرغم من الفرح، شعر بالضغط يكبت مشاعره، لكنه كبت ملامحه الحازمة.

في العاشرة حين بدأ الزحام يتناثر في المكان، اختفى كل شيء. ضحكات الأطفال تحولت لبكاء، صخبهم تحول لنداء استغاثة، نداء الفتاة الفرِحة لجدها تحولت لصياح، فلقض حاولت لملمت جسد عجوزها المبعثر. أما الثياب الجميلة اضحت محترقة معتمة بالدماء، وتلك الفتيات الشابات الجميلات تقطّعن لأشلاء مبعثرة في كل مكان، اما الشباب فمنهم من اختفى ومنهم من تقابل بالله في عيد تجسده. اختفى صوت الاستعطاء ليتحول لأنيني. وطعام الشهي تلطخ بالغبار وتلوث بدماء من أعده.

كل هذا حصل في غضون ثواني، محولاً الملهى إلى مدفن جماعي أثر انفجار عصف المكان.

الجزء ٢٧: اختناق الخانق

في الساعة العاشرة، سُمع صوت انفجار صغير أشعل غرفة المولات في الملاهي، تلاه بعدة دقائق انفجار مهول، فاندلعت حرائق في الملهى آكلةً كل شيء.

حينها توجه الإسعاف وفرق الإنقاذ للمكان، لينقذوا الأحياء ويدفن الأموات الراحلين داخل ظلام كسى السماء وخفى القمر بدخان اسود حداداً للموتى، فقط نور واحد ينير الطريق الارواح نحو السماء وهي النيران القاتلة الراقصة على زجل الآلام وطرب الكفر واللعن الذي اصدره المصابون المحترقين والمدفونين تحت الحضيض.

من سيارات الهوائية ما تدمر، وابنية مجاورة هبطت، الألعاب الحديدية في الملهى ذابت والتهمها الشيطان الأحمر.

****

ماذا حل بالعصابة؟ هل مات اعضاؤها؟ هل عثرت عليهم الشرطة او المنقذون؟ هذا ما تبادر في ذهن جان، الذي حمله عصف الانفجار إلى اكثر مكان ظلمة وقفر في مدينة الملاهي.

وجد نفسه حياً، بسبب قوته الخارقة فتدارك الأمر بسرعة وبدأ التفكير بأمور مهمة. فجأةً، سمع صوت لمسعفين آتين اليه، فأختبئ كي لا يعثر عليه. وبعد أن تأكد من انه مخفي عن أنظار الشرطة والآلات الإطفاء، انطلق يبحث عن أعضاء العصابة.

في الطريق دهس في تلك العتمة جثة كانت حية، وحين نظر لأسفله، تأكد ان هذا الرجل المغشي عليه هو من أعضاء العصابة. كان مصاب يقطر دماً، فتنفس جان على مهل يفكر، فحمل سلاحه موجهًا طلقة قاتلة على المصاب، ليَبرد على مهل في العتمة.

كان قراره بقتل فرد من العصابة امر صائب، فمداوته مستحيلة دون أن يلاحظ أحد من المسعفين.

تقضم جان أكثر، ليجد أحدهم يقترب منه، كان مقنعاً بالظلام فلم يعرفه إلاّ بعد برهة. فحين أصبح المجهول تحت مرمى نظراته الحادة صاح

جان: "انزع قناعة الممزق يا أبي" كان الرجل المتوجه اليه هو السيد جون، يتقدم على مهل مصاباً بقدمه ببعض الجروح.

فتمتم القائد مستغيثا بابنه:" بُني ساعدني على الفور، لقد دخل شظايا إلى جسدي ووصلت لعظامي، وأشعر بألم في صدري و..."

كان شعور غريب يتدفق لذهن جان حين رأى والده. تبادرت أمامه صور مخيفة، لمشاهدة تعذيب من قبل والده، شاهد صور يديه الملطخة بدماء أشخاص قتلها هو بنفسه، لم يشعر بالندم يوماً على قتل أحدهم، الا الآن حين شاهد الجريح اللاهث أمامه المسمى بالأب يقترب منه.

أخيراً تذكر وهو حامل بيده اليمنى سلاحه بارتجاف، خادمة مبتسمة حزينة تعرف عليها.

بعدها غمض عينيه تنفس الصعداء، كأنه مصاب بآلام غير منظورة، وارتفعت يده اليمنى وهنا يُسمع صوت إطلاق نار أخفى صوت آخر اصدره جون الذي هوى ارضاً مثقوباً في قلبه، ليذهب للعالم الآخر.

الجزء ٢٨ : خدعة ناجحة

حمل جان جثة والده المقتول، فرماها داخل اتون من نار ليخفي بشاعة جريمته، التي كانت انتقام من جرائم ارتكبها هو بسبب جون، الانتقام التي سعت له والدته دخلت اليه وسارت بدمه.

ظهرت على ملامحه في تلك العتمة المضاءة بمصابيح النيران، ظهرت كراهيته الكبيرة لمن رباه، في عالمٍ من الإرهاب الذي لا يرغب به. تناثرت دموعه في الهواء متمازجة برماد سيده. لكن سرعان ما توقف نحيبه الذي نتج لا لحزنه على ابيه بل لغضبه المرير، فلم يقدر التعبير عن حقده إلاّ بالبكاء. في تلك اللحظة علمنا ان جان تغير، هذا المسخ

أضحى انسان ذات مشاعر، بكى ندماً على من قتلهم سابقًا، متأثراً من قذارة اعماله التي اقترفها من بداية حياته.

اختفت أفكاره وتساؤلاته التي كانت دائماً تصاحبه قبل أي عمل، لأنه من لحظات قتل والده ملتحفاً بدماء جون القذرة الهاطلة على الأرض متمازجة بجراحه السطحية. مع انها ليست جريمته الأولى، لأنه قتل الآلاف من الكبار والأطفال مُعذباً من يعترض طريقه، لكنه خاف، فلقض قتل ماضيه في تلك اللحظة، كان هدفه تنفيذ رغبة والده، الآن رغبة من سينفذ. انه الانتقال من العبودية إلى حرية، من عالم البؤس إلى الطهارة، وهذا الانتقال خطير لكنه ليس مستحيل.

نطق مناجياً ربه الذي نكره كثيراً:" آه، انا نادم لكل ما اقترفته من قتل، لكن لن اندم على مقتل ابي سبب معاناتي".

*****

سمع أحدهم صوت إطلاق النار، فتوجه إلى مصدره ليجد رجل إعتقده القاتل أمام اتون من نار، يراقب احتراق المجني عليه، سارح في أفكاره لا يتحرك.

كان الشاهد شرطياً، لم يقدر ان يميز ملامح وجه جان بسبب الدخان هناك، فناداه الاخير صائحاً:" باسم القانون توقف "تدارك رجل العصابة المخضرم الأمر، فاختفى بكل خِفة وراء الظلام في المجهول، واضعاً والده للعذاب السفلي وجثته التشريح الجنائية. لكن لم تعثر الشرطة على القاتل.

فيما كان جان يهرب من العدالة، استضم ببعض الصخور المُدَمرة التي كانت سابقاً حائط لأحد المباني. فوقع ارضاً، ليسمع عند وقوفيه على مهل صوت همس خافت، صوت مألوف ينادي من سعات طالباً الإغاثة.

توجه جان لصوت المنادي، ليصادفه فأدرك انه القائد جورج، كان هذا الأخير قبل الانفجار بجانب جون وابنه، لكنه دُفع من قبل العصف إلى أن استضم بعارضة حديدية ليغشى عليه وحين استيقظ وجد نفسه تحت سيارات قديمة تستخدم المَحروقات للسير وضِعت في الملاهي لعرضها. فتحطمت قدميه وقيدت تحت تلك الآلة وهو لا حول ولا قوة له.

تبادرت في ذهن جان فكرة التي طبقها على والده سابقاً، اي التخلص من هذا الرجل أيضاً، لكي ينهي امر العصابة التي خنقته. فحمل سلاحه وملئ خزانه بالذخيرة، حدد وجهة رصاصته القاتلة، وحين هم للإطلاق، صاح جورج بكل ما اعطية من قوة، مردفاً بكلام مقطع لاهث:" لا تفعل، وأن حاولت سأدمر منزلي. اي سأقتل زوجتي مع طفلي البالغ اقل من سنة واحدة وأدمر كل ما فيه، من بينهم ريندلا حبيبتك".

لقد قام الخبيث بزرع قنبلة في منزله، تُفجر عن بعض حين يتوقف قلبه عن الخفقان. فلقد زرع شريحة في قلبه لتفجر الأماكن الهامة له في حال موته ليخفي كل الادلة التي تقوض لجرائمه. فلم يكن من جان إلاّ انقاذ ذاك الشيطان، فرفع السيارة بقوته الخارقة، حمله واختفى قبل العثور عليه.

الجزء ٢٩: إيضاح

سبب الانفجار ظل لغذ حير التحقيق، إلى ان أقفلت القدية معتبرين انها حصلت بسبب مشكلة تقنية، لكن وصلوا لحله بعد سنين طويلة في سنة ٢١٠٠٩، فُعرف الفاعل، ودونة هذه الكلمات في مذكرة الشرطة :"في

ليلة ٢٤ من الشهر ١٢ سنة ٢٠٩٨٩ وحين دقت الساعة العاشرة، اندلع انفجار هائل مُفتعل. من قبل المجرمة ماجو ذات الرمز 8 9 10 50 "

هكذا كان التقرير لم يُعرف سبب الانفجار، لكن إن دخلنا علق جون وجورج سنفهم ما حصل.

قامت ماجو اخت روز بتدبير مكيدة للانتقام، فلقض اتصلت بصهرها جورج بعد ان علمت بطريقة ما الخيانة التي تلقاها من قبل المجهول X فأعلمته انها من إحدى العصابات وجاهزة للانقلاب على ذاك المخادع، فطلبت منه الحضور مع العصابة إلى الملهى دون اخبار أحد عن سبب المجيء، وحين تلتقي به ستعطيه قرص إلكتروني يحتوي على كل المعلومات بخصوص الانقلاب.

واتصلت ايضاً بجون واعلمته كذلك انها من أحد العصابات، تريد إجراء تبادل أسلحة مقابل المال، فتمنح التعساء دبابات سرقتها من الجيش البريطاني. لم يصدقها الرجل، لهذا قامت بتحضير موعد في الملهى للنقاش، واعلمته عن أهمية اخذ أعضاء عصابته للمكان دون اعلام أحد عن السبب.

هكذا توجهت العصابة كلها للمكان، ومن ناحية أخرى قامت ماجو باتصال هام لل GI فأعلمتهم انها وجدت قنبلة في الملهى، وقبل انهائها الاتصال قام بتفجير المكان.

فمات من مات ونجى من نجى، المهم انها انتقمت.

*****

وعلينا اعلامكم ان الشرطي الذي لمح جان وهو يقتل والده كان هينو، خال القاتل، الذي عهد على نفسه في الرابعة عشرة من سنيه الانتقام لأخته، أضحى بالثلاثينيات ولا يزال حقده كبير.

ترقّى ليصبح معاون للمنظمة العالمية GIفي لبنان، ومرتبط علاقة وسيقة بالتحقيق الجنائي المختص بالعصابات. توجه لموقع الانفجار في تلك

الليلة، بعد ان المكالمة التي جرت مع التحقيق العالمي، ليجد قاتلاً أمامه وجثة محروقة، لهذا خطّى في تقريره عن هذا الموضوع "انفجار ١٢/٢٤ معضلة مجهولة السبب من المستحيل ان تكون عرضية".

الجزء ٣٠: النهاية

قام جان باصطحاب جورج إلى المنزل، فاعلم روز ان لا تخبر احد بما جرى ولا حتى الطبيب وكذلك هدد الخدم. كان ينزف دماً من كل أنحاء جسده، لكنه لم يبالي لأن هدفه انقاذ المصاب كي لا يتوقف قلبه وتموت الخادمة التي يحب.

أخيراً انها عمله، بعد ان اوقف نزيف جورج بخِرق وضمد جرحه. فأغمض عينيه لثواني ليشعر بلمسات ناعمة تربد على ظهره، فلقض انطلقت خادمة شابة تُداوي جراحه بلا ان يطلب منها أحد هذا الأمر، فراقبها بطرف عينيه محولاً النظر لخلفه ليتأملها جيداً، وصل لقمّة سعادته فتمتم كلاماً غير مفهوم، ردت هي:" انا ريندلا سعتُ بلقائك"

كانت لمساتها الساحرة على جسده تَشفي المه كأنه الدواء، ابتسامتها مُسكن لجراحه المفتوحة، ونظراتها النعيم عينه. همل جان في تلك اللحظات كل ما جرى من أحداث خطيرة اليوم، لم يفكر بخطواته القادمة، بل تمنى ان يظل جريحاً دائماً لتعتني هي به.

همل امر العصابة التي انتهت، فلقض مات معظم أعضائها، ومن تم القبض عليه لم يقدروا الوشاية بشيء إلاّ بمخبئ الجديد للمنظمة، لهذا تم مداهمات المكان، فامسكوا عاملات الهوى وصادروا الاسلحة وضبطوا المخدرات. لكن لم يعرف احد القائدين المقنعين، فالأول مقتول مشوه في النار والثاني مصاب من المستحيل نسبه لمجرم بسبب علاقاته السياسية.

انتهت أخيراً عصابة التعساء، تحرر جان الذي ظل مأسوراً فيها مدة ٣٠ سنة. كان تحرره بفضل كلمات لطيفة أرسلتها له ريندلا، اخرجته من عالم البؤس بابتسامتها، بلمساتها التأمت جراحه، بنظراتها ادخلته النعيم.

هي مأسورة أيضاً في سجن البؤس، لكنها ساعدت شريكها على الهروب من تلك القضبان. أما هي فظلت مأسورة كخادمة لآل الاسمر. لكن هل من منقط؟

*****

رداً على ما سبق، قام جان المتحرر، بعد أيام من شفاء جورج بطلب يد ريندلا منه. فوافق هذا الأخير بشرط، ان يتم دفع مبلغ من المال شهرياً على حياة الخادمة.

تم الزفاف بعد ان تعمد جان، فتحوا أخيراً من مسخ إلى حمامة ناصعة البياض. كان الزفاف بصيت في الكنيسة شارك فيها العروسين مع السيد جورج وزوجته روز، فتم الاحتفال السماوي بتائبٍ كان ضالاً فعاش، كان ميةً فوجد.

كانت ريندلا فرحة كالملاك، لكن غير مدركة لما يجري، البارحة كانت خادمة واليوم اضحت عروساً. ما السبب؟ كان جوب هذا السؤال بكلام زوجها أمام الكاهن والله يوم العرس:" اوه... اخرجتني من زنزانتي لأخرجكِ بعد أن أصبح حراً طليقًا من زنزانتك"

فتشابكت افكار الزوجين ومشاعرهما ونظراتهما في كائن واحد وهو الإنسان المقدس الذي خسراه بسبب المجتمع الذي بنيت حياتها فيه. وهذا الارتباط ولّدى حبل ريندلا، ليخرج المولود إلى العالم سنة ٢٠٩٩٤، جميل مثل أمه طاهر، ليخرج إلى عالم البشر، عالم الظلم.

في الظلام اسيرُ لأني تعيسٌ

شرب مني الضعيفُ

واكل مني السخيفُ

فلم أعد انا ما كنت عليه سابقاً

لقد تغيرت لمسخٍ حقيرُ

يتبع....

إيضاح

- **تاريخ:** علينا أن نذكركم ان في سنة ٢٠٩٩٧ انتهت الحرب العربية الكبرى او التوحيدية، ما ادى لتوحيد العلم في دولة واحدة. وأتى قرار بقتل كل من يرفض التوحيد، لهذا خاف جان على مصير عائلته فوافق على الخضوع للنظام المستبد.
- **سيارة هوائية:** سيارة تعمل على الهواء للسير لا على الوقود او الكهرباء. وتمتاز انها لا تملك عجلات بل هي نفاثة تطير.
- GI : global investigation
او التحقيق العالمي، يهتم بالقضايا جنائية الخطيرة في العالم.
- **نقاط:** عملة المستخدمة في التجارة، تكون رقمية تدفع عن بعض عبر جهاز صغير.